التّماسُك النَّصّيّ في سُورة الزُّخْرُف

الدكتور عبد اللطيف السعيد يوسف الخميسي
كلية الآداب بجامعة دمياط - قسم اللغة العربية

ملخص البحث

أردت في هذا البحث دراسة التماسك النصي في إحدى سور القرآن الكريم ؛ لأقف علي أوجه هذا الارتباط الوثيق بين آيات السورة كلها ؛ لتبدو كلاًّ واحدًا ، يخدم معنًى واحدًا ، أو أكثر من معني ، تتعاون جميعها في تجلية الفكرة العامة في السورة. وقد وقع اختياري علي سورة الزخرف لدراسة أوجه التماسك النصّيّ فيها لما رأيته من أنها تمثل قدرًا مستقلاًّ مناسبًا لأن أدرسه في هذا البحث. ومن ثم سيشمل هذا البحث : تماسك عناصر النصّ / التماسك النحوي ، بعناصره التالية : (الإحالة ، الربط ، الحذف ، الاستبدال / التماسك المعجمي ، ويشمل : (التكرار ، المصاحبة) / التماسك الدلالي / التماسك الصوتي / التماسك بين النص والعالم الخارجي.

The Research Abstract

In this research, I wanted to study textual cohesion in one of the Holy Qur'an Surahs. This is to find out the close relatedness among the verses of the whole Surah to appear as one whole serving one or more meanings that cooperate together in clarifying and shedding light upon the general idea of the Surah. I chose the Al Zokhrof Surah to study the various facets of textual cohesion. This is because I found it a suitable independent representation that can be studied in this research. Accordingly, this research will include the consistency of the text elements/ grammatical coherence, with its following elements: reference, conjunction, ellipsis, substitution/ Lexical cohesion which includes repetition and collocations/ semantic consistency/ phonetic consistency/ consistency between the text and the external world.

مقدّمة

كنت درست – في رسالتي للحصول علي الدكتوراه[١] – بناء الجملة القرآنية ، وعلاقتها بالنصّ ، أو تكوّن هذا الأخير من مجموعة أو مجموعات من الجمل ، تختلف كل واحدة منها من حيث التركيب ، و تتضمن – إلى جانب التناسب المعنوي – روابط تجمعها معًا ؛ ليتكوّن منها كُلٌّ متكامل مترابط ، هو النصّ المتناول لفكرة ما ، أو مسألة ما. ورصدت بعض مظاهر تحقّق ذلك في أحد أرباع سورة المائدة [٢]، وعرضت لبعض مظاهره في تناول بعض آى الكتاب الكريم عند دراسة ارتباطاتها التركيبية والمعنوية ، وأنعكاس ذلك علي مراتب الوقوف.

وأردت دراسة التماسك النصي في إحدى سور القرآن الكريم؛ لأقف علي أوجه هذا الارتباط الوثيق بين آيات السورة كلها؛ لتبدو كلاًّ واحدًا ، يخدم معنًى واحدًا ، أو أكثر من معني ، تتعاون جميعها في تجلية الفكرة العامة في السورة. ولقد كأن للقدماء اهتمام كبير بتناسب الآيات والسور ، وقوّة تلاؤمها. نجد ذلك في كتب التفسير ، علي ما نري في كتاب البقاعي : "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور".

وقد أخذ الاهتمام بنحو النص يتزايد ، ويبدو كما لو كأن بديلا لنحو الجملة. علي أن من الحق أن هذا الأخير هو الأساس الذي تقوم عليه لَبِنات النصّ المركّبة من كلمات اللغة ، ولا مناص من مراعاته بدقة ليستقيم لنا بناء الكلام المحتوي عليه هذا النص ، أو ذاك ، بدءًا من أولي مراحل إنشائه. بل إن بعضًا من قواعد نحو الجملة يعتمد عليه في تكوين النصّ ، أو دراسة العلاقات بين مكوّناته[٣]. خذ مثلاً عَوْد الضمير ، والأسماء الموصولة ، وما لهذين الفصيلين النحويّين من

(١) وكانت بعنوان " اللغة و علوم الفرأن ، دراسة لغوية وصفية تحليلية". و هي تحت الطبع.

(٢) وهو الربع الخامس ، ابتداء ن الآية ٥١ إلى الآية ٦٦.

(٣) وقارن بما في "علم لغة النص ، المفاهيم و الاتجاهات" للدكتور سعيد حسن بحيري ١٩٣ عن أن "فاينريش" لا يرفض مستوي الجملة ، بل هي عنده ما يبتدأ التحليل منه. و هو ما يشير إلى الاتجاه الغالب على تحليلات علماء النصّ، علي الرغم من أن بعضهم يحاول أن لا يذكر ذلك صراحةً.

دور في الإحالة أو الربط بين أجزاء الكلام ، وما يقتضيانه من مراعاة المطابقة بين عناصرهما المختلفة وما تعود عليه ، أو تُحيل إليه. أضف إلى ذلك أدوات العطف والشرط ، تلك التي هي وسائل ربط بين أجزاء النصوص ، كما أنها تستعمل للغرض نفسه في تكوين الجمل.

نستطيع أن نقول إن علماءنا القدامى قد اهتموا بما ندعوه الآن "نحو النص" – وإن لم يستعملوا هذا المصطلح – بخاصة في مجال دراسة النص القرآني وتفسيره ، وبيان مظاهر إعجازه البلاغي. ولا يبعد أن تكون بعض النصوص الأدبية – خاصة الشعرية منها – قد ظفرت بشيء من ذلك في دراسات النقاد والبلاغيّين قديمًا. وقد أطلعتنا الدراسات اللغوية الحديثة علي احتفال اللغويين الغربيّن بهذا النحو النصّيّ ، أو علم اللغة النصّيّ؛ فجعل ذلك باحثينا يستكشفون جهود علمائنا القدماء فيما يشبه مثل هذا المجال اللغويّ الحديث(١). وقد أردت أن أسلك طريق أولئك الباحثين الرابطين بين ما في تراثنا اللغوي و الأدبي وما تموج به ساحات الدراسة اللغوية الحديثة ممّا لعله يصرف عن هذا التراث الغني ، إن لم نفطن إلى قيمة كثير مما يحتويه ، هذا فضلاً عن رغبتي فيما يشبه استكمال دراسة كنت بدأتها بدراسة لمظهر من مظاهر الترابط في ربُع سورة المائدة ،

(١) استثني الدكتور سعيد حسن بحيري تحليلات نحاتنا القدماء للجملة وفق القرائن المختلفة ، وحرصهم علي إيضاح وسائل الترابط في السياق – من أن يشملها مثل الانتقاد الذي أنحي به "فاينريش" علي منهجه في تحليل النصّ المشبه لمنهج تحليل الجمل في تناولها من حيث : أقسام الكلام وعناصر الجملة. و بتمثل هذا النقد في أن هذا التحليل غير كافٍ ؛ لأنه لا يظهر التشابك بين عناصر الجمل ، و لا بين الجمل داخل النصّ. و ذكر الدكتور بحيري أن إشارات القدماء في البلاغة والتفسير والفقه والنقد ، وغير ذلك من فروع التراث ، ممّا يتعلّق بتتابعات الجمل ، أو أجزاء من نص ، أو نصّ كامل – مع قلة هذا الأخير – يمكن أن نعيد فيها النظر ؛ لنفيد منها تصورًا عامًّا ، تسهم فيه إضافات علماء النص. كما أكد أن قيمة تقديم الاتجاهات التحليلية لعلماء الغرب ، تتمثل فيما تفيدنا إيّاه من اكتشاف تراثنا ، وما تضيفه إليه. علم لغة النص ، المفاهيم والاتجاهات ١٩٤ – ١٩٦، وهامش ٨ص ٣٢٠،

السابقة الإشارة إليه. وقد وقع اختياري علي سورة الزخرف لدراسة أوجه التماسك النصّيّ فيها لما رأيته من أنها تمثل قدرًا مستقلاً [١] مناسبًا لأن أدرسه في هذا البحث.

و سيشمل هذا البحث ما يلي :

١- تماسك عناصر النصّ.

٢- التماسك النحوي ، بعناصره التالية :

- الإحالة – الربط – الحذف – الاستبدال.

٣- التماسك المعجمي ، ويشمل : – التكرار – المصاحبة.

٤- التماسك الدلالي.

٥- التماسك الصوتي.

٦- التماسك بين النص والعالم الخارجي.

لا بدّ لنا أولاً من الوقوف علي الخطوط العامّة لمضمون السورة الكريمة ؛ لنتعرّف ما ستتناوله من معان ، تعبّر عنها آياتها ببنائها اللغوي ، والبياني الذي سندرسه من خلال الخطّة السابقة ، وهو ما نعرض له فيما يلي :

١-تماسك عناصر النص:

لا بدّ لنا – في البداية – من وقفة أمام تلك القضايا الرئيسة التي عرضت لها السورة الكريمة ؛ فنقرّر أنها هي :

١- القرآن تذكرة للمخَاطَبين المتغافلين عن الحقائق الكونية الظاهرة الداعية للإيمان. (الآيات من ١ إلى ١٤).

(١) ولا بُدَّ أن يفضي بنا التدقيق إلى أن من وراء استقلال السور القرآنية ارتباطًا وثيقًا بينها ، تتعدّد مظاهره. وهذا من مظاهر الترابط القوي (التماسك) بين النصّ القرآني الكريم كله.

٢- فساد ما عليه المشركون من معتقَدات. (الآيات من ١٥ إلى ٢٨).

٣- توهّم الكافرين ارتباط الرسالة بالثراء والنفوذ. (الآيات من ٢٩ إلى ٥٦).

٤- عيسي بن مريم عبد الله ورسوله. (الآيات من٥٧ إلى ٦٥).

٥- وجوب العمل للآخرة للنجاة من عذابها ، والفوز بنعيمها. (الآيات من ٦٦ إلى ٧٨).

٦- تهديد للمشركين ، وتحوّل عنهم وإعراض ، مع الإشارة إلى أن الغلبة للإسلام. (الآيات من ٧٩ إلى ٨٩).

لقد خاطبت آيات السورة الكريمة كفار مكّة حول هذه القضايا، داحضةً إنكارهم لرسالة الإسلام ، ومجادلتهم عن عقائدهم الباطلة. وجعلت الآيات الكريمة تقيم الحُجَج الدامغة علي مخاطَبيها. وكان أن انتزعت منهم الاعتراف بانفراد الله – تعالى – بخلق الكون وما فيه. ثمّ رأيناها تُزري بما هم عليه من تقليد أعمي للآباء ؛ أفضي بهم إلى اتّباع معتقداتهم الباطلة. وتفعل الآيات الشيء نفسه بنظرة الكافرين الدنيوية القاصرة إلى منزلة الرسالة. ثمّ تبطل محاجّة المشِركين عن شركهم بما وقع فيه النصارى من عبادة عيسى ، عليه السلام. كل ذلك نقف فيه علي الأدلّة الدامغة علي صحّة دعوة القرآن وحدَها ، وموافقتها ما تهدي إليه الفطرة السليمة ، والعقل الراجح. وتذكرنا السورة – بعدَئذٍ – بأن مآل الخلق جميعهم سيكون إلى دار الجزاء في الآخرة. وفيها يفوز المؤمنون بالله وبرسوله بالجنّة وما فيها من نعيم دائم ، ويشقي الكافرون بعذاب جهنّم المقيم. وتختَتَم بتهدّد المشركين ، مع الإشارة إلى ثبوت الغَلَبة لرسالة الإسلام مستقبَلاً.

ولقد أوردت آيات السورة هذه القضايا العامة ، والأفكار الكبرى في تفصيل مناسب لكل منها ، تضمنته سياقات بيّنة للمعاني ، أخّاذة للقلوب والعقول بما لها من روعة البيان، وعظيم الإقناع.

ولسوف نقف من خلال تحليلنا اللغوي للسورة الكريمة علي تآزر بنيانها ، وأخذ كلٍّ من أجزائها بحُجُز بعضها ، وإسلام سابقٍ منها لتالٍ. وسنري ذلك في كل جوانب الدرس والتحليل التي أشرنا إليها.

إن القضية الأولي تأتي تمهيدًا ومقدّمة للثلاث التاليات لها. فلقد أُرسِل رسول الله محمّد – صلّي الله عليه وسلم – إلى قومه؛ ليدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وإن كانوا قد جاوزوا الحدّ في الإعراض عن طريق الهداية ، شأنهم في ذلك شأن من سبقهم من الأمم المكذّبة. لكن هؤلاء القرشيّين الكافرين يقرّون بخَلْق الله لهم، ولكل ما في الكون ، وبخاصّة ما تعود فوائده المباشرة عليهم في حياتهم اليومية. وما أعظمه من مدخل لعرض القضايا الثلاث التالية ؛ لبيان خطأ ما هم عليه بشأنها. فإذا ما فرغت السورة الكريمة من ذلك أخذت في التحذير من مباغتة الساعة لهؤلاء المكذبين ، والمعرضين عن اتّباع طريق الحقّ ، الذي ليس من سبيل إلى النجاة من العذاب والفوز بالجنّة يومئذٍ إلا بسلوكه. فإذا ما انتهي السياق الكريم من تقرير ذلك ، جعل يتهدّد هؤلاء المشركين لغفلتهم عن حقيقة أن الله – تعالى – محيط بهم، لا تخفي عليه خافية ، وأنه هو المعبود بحقّ. ولئن استحوذت عليهم الغفلة ، بل جاوزوها إلى الخَوض و الإعراض – فليس ذلك غريبًا عليهم؛ إذ إن السورة الكريمة سجّلت – في أولها – أن ذلك حالهم. أَمَا وقد أُبلِغوا رسالة الإسلام واضحةً جليّةً ، كما قصدت إلى ذلك السورة ، في غير اكتراث بإعراضهم وإسرافهم – فلا مناص من الإعراض عنهم ، ومجازاتهم بسوء صنيعهم ، مع تقرير الحقيقة الناصعة المتمثّلة في كون الغلبة للإسلام الحنيف.

وهكذا تكون السورة مترابطة القضايا. ولقد وقفنا علي إشارة إحدي الآيات في آخرها إلى ما سجّلته سابقة لها في أولها. و الآيتان هما :

- "أَفَنَضرب عنكم الذكر صَفْحًا أن كنتم قومًا مُسرِفين؟" (آ٥).

- "فَذَرْهم يَخوضوا ، و يَلْعبوا ؛ حتّي يلاقوا يومهم الذي يُوعَدون" (آ٨٣).

وهذا أحد الأمثلة الكثيرة التي سنقف عليها فيما بعد ، عندما ندرس التماسك الدلالي في السورة. وقد أفاض في ذلك البقاعي في كتابه "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور".[١] ولعل فيما قدّمته عن القضايا الرئيسة ، ووثاقة تتابعها ما يسمح لنا بالانتقال إلى متابعة درس السورة الكريمة ، وفق الترتيب الذي أوضحته في نهاية المقدّمة.

٢-التماسك النحوي :

أرجع بعضهم التماسك النصّيّ إلى عناصر نحوية.[٢] و تتمثل هده فيما يلي :

(أ) الإحالة :

(ا) المحالات إليها الرئيسة:

يراد بالإحالة الإشارة إلى شخص ، أو شيء ، أو أمر ما. وكثيرًا ما تستعمل للإشارة إلى مذكور سابق ؛ فتوفّر علينا مئونة التكرار اللفظي الثقيل علي الأذن والنفس ، وتعمل علي الترابط بين أجزاء الكلام. وقد وجدت الإحالات الرئيسة ، التي نجدها تتخلل السورة الكريمة ؛ فتنتظمها من أولها إلى آخرها تخص كلاً ممّا يلي :

(ا) الله تعالى.

(ب) الرسول الكريم محمد ، صلي الله عليه و سلم.

(ج) القرآن الكريم.

(د) كفار مكة.

وثمّة محالات إليها أخري ، أشير إليها بالضمائر ، وغيرها، علي أنها تأتي في المرتبة الثانية من هذه الأربعة السابقة ؛ لكونها تدور في فلك بيان المعاني المتصلة بها ، وتجلية القضايا

(١) ولعل في إشارته إلى ارتباط قوله – تعالى – : "قل أن كأن للرحمن ولد فأنا أول العابدين " (آ٨١) بالآية :"و قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم..." (آ ٢٠) ما يشبه ما في المثال السابق. انظر : نظم الدرر١٧/٤٨٧,٤٨٨.

(٢) علم لغة النص ٥٥.

الخاصة بها. وهذه المحالات إليها ، مذكورة في السورة الكريمة. وسوف أعرض لها بعد تناول هذه الأولي الرئيسة.

(أ) الإحالة إلى الله تعالى :

أورد أولاً مواضع الإحالة هذه بوسائلها المختلفة من ضمائر ، علي اختلافها ، أو موصول أو ذكر معجمي للمحال إليه. وسأضع كل طائفة ، أو فصيل ممّا سبق داخل قوسين مميّزين له عن غيره[١] ، مع الإشارة إلى رقم الآية ، عقِب ذكر موضع الإحالة منها.

١- "أنـ (نا) جعلـ (نا) هـ ...(٣).

٢- "... لديـ (نا)..."(٤).

٣- "أفَنَضرِبُ (نحن(٢)-)" (٥).

٤- "و كم أرسلـ (نا)" (٦).

٥- "فأهلكـ (نا)" (٨).

٦- "... مَن خلَق (هو-) السموات والأرضَ ، ليقولُنّ : خلقَهنّ [العزيز العليم]" (٩).

٧- "(هو-) <الذي> جعل (هو-) لكم الأرض مَهْدًا ، وجعل (هو-) لكم فيها سُبُلاً..." (١٠).

---

(١) سأجعل الضمائر بين قوسين هكذا ( ) ، وأجعلهما إلى الأعلي ، وبينهما شرطة ، إذا كان الضمير مقدّرًا ، وأكتبه أسفل القوسين. وأجعل الاسم الموصول بين حاصرتين هكذا < > ، والاسم ، أو الإحالة المعجميّة بين هذين المعقوفين [ ].

يري الدكتور مصطفي حميدة أن الضمائر المستترة ليست من وسائل الربط ، وأن كان في التفات القدماء إلى ضرورة وجودها ما يدل علي ذكائهم ؛ لكونها ممّا ترتبط به إجزاء التركيب. أمّا الضمير الظاهر فهو قائم مقام الأداة في القيام بوظيفة الربط. نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية ١٥٢ – ١٥٦. وهو رأي وجيه وصائب ، لكني سأنظر إلى الضمائر كلها نظرة واحدة ، باعتبارها روابط.

٨- "و <الذي > نزّل (هو-) من السماء ماءً ؛ فأنشرْ(نا)..." (١١).

٩- "و <الذي> خلَق (هو-)الأزواج كلَّها ، وجعل (هو-) لكم من الفلك والأنعام ما تركبون" (١٢).

١٠- "ثم تذكروا نعمة [ربّ]كم...و تقولوا : سبحان <الذي> سخّر (هو-) لنا هذا" (١٣).

١١- "وجعلوا لـ(ه) من عباد(ه) جُزْءًا"(١٥).

١٢- " أم اتّخذ (هو-) ممّل يخلُق (هو-) بناتٍ ، و أصْفا(هو-) كُم بالبنين؟!" (١٦).

١٣- "وإذا بُشِّر أحدهم بما ضرب لـ[لرحمن] مثلاً..." (١٧).

١٤- "وجعلوا الملائكة الذين هم عباد [الرحمن]إناثا" (١٩).

١٥- "وقالوا : لو شاء [الرحمن] ما عبَدناهم" (٢٠).

١٦- " أم آتَينا(هم) كتابًا من قبله..." (٢١).

١٧- "وكذلك ما أرسلـ(نا) من قبلك..." (٢٣).

١٨- "فانتقمـ(نا) منهم..." (٢٥).

١٩- "إلاّ <الذي> فَطَرني ؛ فإنـ(ه)سيَهدينِ" (٢٧).

٢٠- "بل مَتّعـ(تُ)هؤلاءِ..." (٢٩).

٢١- "أَهُم يَقْسمونَ رحمةَ [رَبِّـ]كَ؟ (نحن) قسَمْ(نا) بينهم معيشتهم ... ، ورفعْ(نا) ... ورحمةُ [رَبّ]ك خيرٌ ممّا يجمعون"(٣٢).

٢٢- "و لولا أن يكون الناسُ أمّةً واحدةً لَجعلْ(نا) لمن يكفُر بـ[الرّحمن]..." (٣٣).

٢٣- "...و الآخرة عند [رَبّ]ك للمتّقين" (٣٥).

٢٤- "و مَنْ يَعْشُ عن ذِكْر [الرّحمن] نُقَيّضْ له شيطانا..." (٣٦).

٢٥- "حَتَّي إذا جاء(نا)..." (٣٨).

٢٦- "فإمّا نذْهَبَ(نحن)نّ بك؛ فإن(نا) منهم منتقِمون(نحن)" (٤١).

٢٧- "أو نُرِيَنّ(نحن)ك الذي وَعَدْ(نا)هُم ؛ فإن(نا) عليهم مُقتَدرون(نحن)" (٤٢).

٢٨- "و اسأل مَنْ أرسلْ(نا) من قبلك مِن رُسُل(نا) : أَجَعَلْ(نا) من دون [الرحمن] آلهةً يُعبَدون؟" (٤٥).

٢٩- "و لَقد أرسل(نا) موسي بآياتِ(نا)...إني رسول [ربّ العالمين]" (٤٦).

٣٠- "فلمّا جاءهم بآياتِ(نا) إذا هُم منها يَضحكون" (٤٧).

٣١- "و ما نُرِي(نحن)هم من آية...و أخذ(نا)هم..." (٤٨).

٣٢- "...ادْعُ لنا [رَبَّ]كَ بما عَهِد(هو) عندكَ..." (٤٩).

٣٣- "فلَمّا كشفْ(نا) عنهم العذابَ..." (٥٠).

٣٤- "فلمّا آسَفُو(نا) أنتقم(نا) منهم ؛فأغرق(نا)هم أجمعين" (٥٥).

٣٥- "فجعل(نا)هم سَلَفًا ومثَلاً للآخِرين" (٥٦).

٣٦- "إن هو إلاّ عَبْدٌ أنعم(نا) عليه ، و جعل(نا)ه مثَلاً لبني إسرائيل" (٥٩).

٣٧- "و لو نشاء(نحن)لَجَعَلْ(نا)..." (٦٠).

٣٨- "...فاتّقُوا [الله] وأَطِيعونِ" (٦٣).

٣٩- "إن [الله] [ربّـ]ي و [رَبُّـ]كُم ؛ فاعبُدو(هـ)..." (٦٤).

٤٠- "يا عبادِ(ي ـ) ..." (٦٨).

٤١- "الذين آمنوا بآياتـ(نا) ..." (٦٩).

٤٢- "وما ظلمـ(نا)هم..." (٧٦).

٤٣- "...لِيَقْضِ علينا [رَبُّـ]كَ..." (٧٧).

٤٤- "لَقَد جِئـ(نا)كم بالحَقّ..."(١) (٧٨).

٤٥- "أَمْ أَبْرَموا أَمْرًا ؛ فأنـ(نا) مُبْرِمون(نحن ـ)" (٧٩).

٤٦- "أم يحسَبون أنـ(نا) ...بلي ، ورُسُلُـ(نا)..." (٨٠).

٤٧- "قل:إن كان لـ[للرّحمن]ولَدٌ فأنا أوّل العابدين" (٨١).

٤٨- "سبحان[رَبّ]السموات والأرْض ، [رَبّ]العَرْشِ..." (٨٢).

(١) والجامع لأحكام القرآن ٨ /٤٢٤ حيث يجيز عود الضمير علي الله – تعالى – ويكون الخطاب ردًّا علي الكافرين في الدنيا. كذلك يمكن عوده علي مالك ، خازن النار. وجعل البقاعي الضمير للملائكة ، أو لبعضهم وهو من تنزل بالوحي ، أو للرسل الذين أبلغوا ما أنزل إليهم. قال : "سمّي مجيء الرسل ... مجيئًا لهم ؛ لما لمجيئهم من العظمة التي أشارت إليها النون". نظم الدرر ١٧ / ٤٨٤.

٤٩- "و(هو) <الذي> في السماء (هو)[إلهٌ(١)(هو)] وفي الأرض (هو)[إله(هو)] و(هو) [الحكيم (هو) العليم(هو)]" (٨٤).

٥٠- "و تبارَك <الذي>لـ(ه) مُلْكُ السموات والأرض ، وعند(ه) عِلْمُ الساعة ، وإليه(ه) تُرْجَعون" (٨٥).

٥١- "و لا يَملِك الذين يَدْعون من دونـ(ه) الشفاعة..." (٨٦).

٥٢- "و لَئِنْ سَأَلتَهم : مَنْ خَلَقَ(هو)هُم؟ لَيَقولُنّ : [الله](٢) ؛ فأني يُؤفَكون(عنـ(ه)) ، أو : عن عبادته)؟" (٨٧)

٥٣- "و قِيلِه : يا [رَبِّ] (ي)..." (٨٨).

دراسة في الإحالات السابقة

(ا) دوران محتوي السورة حول إفراد الله بالعبادة

أحيل إلى الذات الإلهية خارجيًّا(٣) في الآية الثالثة ؛ حيث عاد ضمير (نا) الفاعلين ، الدالّ علي التعظيم علي الله – تعالى – ثم أعيدت الضمائر المختلفة علي هذا الضمير ، أو علي ما يشير إليه. كما أُحيل إليه – تعالى – بوسائل أخري ، علي ما رأينا. ونتتبّع هنا توظيف هذه الإحالات في جعل فكرة الألوهية ، كما يعرفها الإسلام حاضرة حضورا قويًّا ، علي طول السورة ، مدافَعًا عنها بقوة ؛ بحيث يسلّم بصحتها ، وضرورة الالتزام بها كل من أطلق عقله من أسر الجهل والتقليد

(١) أي معبود ؛ فالكلمة مؤولة بالمشتق ؛ ولذا احتملت الضمير في الموضعين في الآية.

(٢) قد يجوز تقدير ضمير قبل لفظ الجلالة ، لكني ملت إلى أن يكون تركيب الإجابة مشاكلا لتركيب السؤال ٣ ويكون التقدير علي ذلك : الله خلقنا.

(٣) إذ لم تذكر صراحة باللفظ من قبل.

الأعمى ، والاغترار بالدنيا. وسنكون بعد هذا التتبّع قد وقفنا علي محتوي السورة الكريمة ، الذي عرضنا قبلاً لما يتناوله من قضايا رئيسة.

إننا نجد في توالى الإحالات إلى الذات العليّة علي طول آيات السورة ، ما يجعلها مترابطة. ونكون بذلك مستصحبين دائمًا لذكره ، سبحانه وتعالى. وعلي ذلك مدار دعوة الإسلام ، التي عمادها القرآن.

إنه – سبحانه – العزيز العليم ، خالق السموات والأرض. يعترف الكافرون أنفسهم بذلك. وهو ممهّد الأرض ومذلّلها؛ ليحيا عليها البشر ، ومنزل الماء من السماء ؛ ليُحيِي به موَات الأرض ؛ وهكذا سيُحيِي الموتي. إنه – سبحانه – خالق كل صِنْف من المخلوقات ، ومذلّل الفُلْك والأنعام ؛ لحَمْل الإنسان في أسفاره ؛ ليذكر فضلَه ، ويسبّحه ، حامِدًا ، ومُقِرًّا له بما أنعم به عليه. لكنّ بني الإنسان قابلوا هذا الإحسان بالكفر ، وادّعاء ما لا يجوز في حقّه ، تعالى. فلقد نسبوا إليه الولد ، وزعموا أن الملائكة بنات الله. فيا لَلعجب ؛ إذ يجعلون له – سبحانه – ما يكرهون ، وهم يغضبون إذا ما بُشِّروا به! علي أنهم لم يشهدوا خلق الملائكة ؛ فكيف يحكمون علي طبيعة خَلْقهم؟ وكيف يجترئون علي ما زعموه من نِسْبة الولد إليه ، سبحانه ، وتعالى عمّا يقولون علُوًّا كبيرًا. ولقد زعموا أن عبادتهم للملائكة ممّا لا حيلةَ لهم في اختيار غيره ؛ فهي مشيئة الرحمن لهم! وما دَرَوْا أنهم يَصدُرون ثانية عن جهل بحقيقة هذه المشيئة. فالله – تعالى – لم يؤتهم كتابًا قبل هذا الكتاب ، الذي يُتلَي عليهم ؛ ليَصدُروا عمَّا فيه ، ويستمسكوا به. بل إن صنيعهم يشبه صنيع الأمم السابقة عليهم.

لقد جاء الأنبياء إلى هذه الأمم بهدي الله ، لكنهم رفضوا ما جاءوهم به ، وكذَّبوهم. وتمسّكت كل أمّة بما انتهي إليها ممّا تركه الآباء من كفر وضلال ؛ فكان أن نزَل بهم عذاب الله – تعالى – وانتقامه.

ولقد اهتدى إبراهيم – عليه السلام – إلى أحقّية الله – تعالى – وحدَه بالعبادة ؛ إذ اهتدي إلى أنه هو فاطره ، وهو الذي يهديه إلى طريق الحقّ. ولئن كان القرشيّون يرون أن يتّبعوا الآباء ، أن أباهم إبراهيم لهو الأولي بالاتباع ، لا هؤلاء الذين انحرفوا عن نهجه.

إن هؤلاء الكفّار وآباءهم قد متَّعهم الله في الدنيا ، وأمدّهم بطيّباتها إلى أن جاءهم الرسول – صلي الله عليه و سلّم – بالحجّة التي تشهد لرسالته ؛ فأعرضوا ، وزعموا أنهم أمام سحر! بل إنهم زعموا أن غيره هو الأحقّ أن يكون الرسول! فما أشدَّ جرأتَهم! أهم يقسمون رحمة الله تعالى؟ كيف يستقيم هذا ؟ إنه – سبحانه – هو الذي جعلهم ذوي درجات متفاوتة في الدنيا ، من حيث الأرزاق ، ونظُم الحياة. وجعلهم بحيث لا تستغني جماعة منهم ، أو طائفة عن غيرها ، في أمور الحياة المختلفة. إن النُّبوّة، التي هي أعظم مظاهر رحمة الله بالبشر ، لأسمي مرتبةً ممّا يسبق إلى أوهام هؤلاء الكافرين. إنها لأعظم شأنا من كل ما يحصّل هؤلاء من متاع الدنيا ؛ فأني لهم أن يقترحوا شيئًا بشأنها؟! ولولا أن يكون الناس كلهم كفّارًا مثلهم لأتاح الله للكافرين كل أنواع طيبات الحياة ، من بيوتات مستكملة كل صفات الحسن ، ووسائل الراحة والرفاهية ، وجعل لهم من الذهب والأموال ما ينفقون منها كما يشاءون. علي أن ذلك كله لا يعدو أن يكون متاع الدنيا الفانية. أمَّا الآخرة فهي للمتّقين لله ، المتّبعين لرسله ، الذين يُعرض عنهم هؤلاء الكفّار وأمثالهم.

إن هؤلاء الكافرين معرضون عن ذكر الرحمن – سبحانه – متّبعون لشياطينهم المقترنين بهم. وهم سيذُمّونهم يوم القيامة ، ويتبرؤون منهم ، ثم تجمعهم جهنم. ولَسوف ينْزِل الله عقابه بهؤلاء الكافرين في الدنيا ، قبل أن يُصْلَوا عذاب الآخرة. ولقد يَحِيق بهم هذا العقاب بعد موتك ، أيها الرسول الكريم ، أو لعلّه يحدث في حياتك ؛ فهو – سبحانه – مقتدر عليهم.

وتحُثّ الآيات رسول الله – صلَّي الله عليه و سلّم – علي أن لا يؤثر فيه استهزاء الكافرين وإعراضهم ، وما يقولونه دفاعًا عن شركهم وكفرهم. فما حدَث أن جاء رسول بمثل ما يزعمون من الشِّرْك ، أو اتّخاذ آلهة من دون الرحمن ، سبحانه.

إن إعراض هؤلاء عنك ، أيها الرسول الكريم ، يشبه إعراض فرعون عن اتّباع موسي – عليه السلام – مُغْتَرًّا بمُلكه[١]، ومظاهره التي أحاط بها نفسه. ولقد دفع قومه إلى الاستهزاء بموسي ، وأن يُعرضوا عمّا رأوه من الآيات العظيمة، التي تشهد بصدق نبوّته. بل إنهم حَنَثوا فيما قطعوه علي أنفسهم من عهد بالإيمان ، إذا ما كشف الله عنهم العذاب! فما كان إلاّ أن أُغرِقوا ؛ ليكونوا عبرة لمن يأتون بعدهم.

لقد أعرض الكافرون عن ضرب المثل بعيسي بن مريم عليه السلام ، وكونه عبدًا لله ، ورسولاً إلى قومه. بل إنهم جادلوا عن معبوداتهم المزعومة بأن شبّهوها بابن مريم ، الذي عبده قومه ، وجعلوه شريكًا لله ، تعالى الله عمّا يقولون.[٢] إن الله قادر علي أن يستبدل بكم الملائكة ، أيها الكافرون ؛ إذ لا يعظُم أمر علي قدرته ، ولا رادّ لمشيئته.[٣] وسينزل عيسي – عليه السلام – قبل الساعة ، التي هي آتية ، لا محالة. ولذلك يلزمكم – أيها المكذِّبون أن تُقلعوا عمّا أنتم فيه ، وتتّبعوا رسول الله محمّدًا صلّي الله عليه وسلّم. لقد جاء عيسي قومه بالدعوة إلى عبادة الله وحدَه ، وبيان ما هم في حاجة إلى بيانه ممّا اختلط عليهم ، واشتبه ، ودعاهم إلى تقوي الله ، وطاعته فيما يأمرهم به. لكنّ قومه اختلفوا في شأنه ، وظلموا أنفسهم فيما ادّعوْه حولَه. فما أشدَّ ما ينتظرهم من العذاب! هل ينتظرون ، هم ومن شاكلهم ، مجيء الساعة بغتةً ؛ لتجعل الأخلاَّء من المتعاونين علي الظلم والكفر ، متعادين متخاصمين؟

لكنّ المتّقين سيَحظَوْن يومَئِذٍ بالأمن والحُبور ؛ لإيمانهم بآيات الله ، وانقيادهم لما جاءت به رسله. إنهم سيكونون في الجنة مخلّدين هم وأزواجهم ، يعلوهم السرور التامّ ، والرضا بما أنعم الله

(١) وتفسير الرازي ٢٧ /٢١٨ ، ونظم الدرر ٤٤٠/١٧.

(٢) ونظم الدرر ١٧ / ٤٥٥.

(٣) أو أن يخلق منكم ملائكة ، و هم من غير جنسكم ؛ ليخلفوكم. و هذا أعظم دلالة علي قدرته – تعالى – من خلق عيسي بلا أب ؛ ممّا أوقعكم في خطأ عبادته. انظر تفسير أبي السعود العمادي للآية "و لو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلُفون" ٩٢/٥،

به عليهم ممّا لم تَرَه عين ، ولم يخطر علي قلب بشر. وممّا سينعمون به من صحاف الذهب ، والأكواب ، والفاكهة الكثيرة.

ويقابل هذا ما سيصير إليه المجرمون الكافرون من الخلود في عذاب جهنّم يائسين من الرحمة. إنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بسلوكهم الطريق غير السويّ. ولن يُستجاب لهم مهما استغاثوا ممّا هم فيه من العذاب. بل يقال لهم : إنكم باقون علي حالكم ؛ لأنكم رفضتم اتّباع الحق.

إن الله تعالى مبطلٌ مكرَ الكافرين ، ومفسِدٌ تدبيرَهم. وكيف لا ، وهو سبحانه يعلم سرَّهم ونجواهم ، علي غير ما يحسَبون؟ كذلك يسجِّل الملائكة الموكَّلون بهم كل ما يصدر عنهم.

أَخبِرْهم ، أيها الرسول الكريم محمد – صلّي الله عليه وسلّم – أنه ليس للرحمن ولدٌ، وأن الله – تعالى – رب السموات والأرض، وربُّ العرش ، منزَّه عمَّا يقولون. واتركهم فيما هم فيه من اللهو والعَبَث ، حتي تفجَأهم العاقبة الوخيمة ، أو مجيء القيامة بأهوالها. إنه – سبحانه – هو المعبود وحدَه في السموات والأرض ، وهو مالك الكون ، والمُصرِّف لأموره بالحكمة البالغة. وإليه – سبحانه – مَرْجع الخلق ؛ ليحاسبهم في اليوم الذي لا يعلم غيره زمنه. ولا يملك الملائكة ، ولا غيرهم ، ممّن يتخذهم الكافرون معبودات – قدرةً علي أن يشفعوا لهم عنده، سبحانه ، إلا مَن يَأذن له.

علي أن هؤلاء المشركين يُقرّون بأن الله خالقهم.[١] فكيف ينقلب بهم الحال إلى هذا الضلال؟ إن الله يعلم قولك أيها الرسول الكريم أن قومك لا يؤمنون. فأَعرض عنهم واتركهم بعد أن أبلغتَهم رسالة ربك. ولسوف يعلمون – فيما بعدُ – حقيقة الأمر ، عندما تنتصر دعوة الحقّ ، وتعلو رايته.

---

(١) ربما كان الأقرب أن تكون الضمائر في الآية " ولَئن سألتهم من خلقهم : ليقولُنّ : الله..." عائدة علي "الذين يدعون من دونه" في الآية السابقة ؛ ذلك لأنه أقرب مذكور ظاهر ، كما أن السياق يقتضي ذلك ، بالإضافة إلى ما فيه من تجديد معني. فقد سبق أن سجلت السورة الكريمة – في أولها – إقرار الكافرين بخلق الله السموات والأرض (الآية ٩). وهو ما يعني إقرارهم بخلقه – تعالى – لهم ضمنًا. وعليه فلا نحتاج لأن نعيد ذلك هنا ثانية. (عقّب أبو السعود العمادي قائلا : "أي سألت العابدين والمعبودين" تفسيره ٩٨/٥). علي أن هذا المرجع الظاهر =

(ب) تحليل لأنماط الإحالات علي الذات الإلهيّة :

(١) جاءت الإحالة علي الذات الإلهية خارجية ؛ إذ لم يُذكر لفظ الجلالة ، أو أي اسم ، أو وصف له أولاً. وإنما جاءت الإحالة عليها باستعمال الضمير المتصل (نا) الدالّ علي التعظيم. وقد جاء أولاً اسمًا لإن ، ثم فاعلا للفعل (جعل) في الآية الثالثة من السورة ، ثمّ تكرّر مجيئه بعدئذٍ ؛ ليمثّل أكبر وسيلة للإحالة إلى الذات الإلهية في السورة.

واستعمال هذا الضمير مناسبٌ غاية المناسبة في كل المواضع الوارد فيها[١]. وسبب ذلك دلالته علي التعظيم النابع من كونه مشيرًا إلى غير الواحد ، أو الجمع. لكن المتكلم المفرد يستعمله في الحديث عن نفسه حديث المعظِّم لشأنها ، ولما يقع منها. والله تعالى هو الأحقّ بهذا والأولي به.

ولا يقتصر دور هذا الضمير علي الربط بين آيات السورة بكونه محيلا إلى الذات الإلهية، بل إنه يؤدّي الدور نفسه فيما بين السورتين : السابقة ، واللاحقة.

(٢) ويشترك الضمير (نحن) مع الضمير المتصل (نا) في الدلالة علي التعظيم ، بل لعله الأصل في ذلك. علي أنه جاء أقلَّ عددًا بكثير من الضمير (نا).

= تتضمّن صلته ضمير الكافرين ، المخاطبين بما في السورة الكريمة ، والمتحدّث عنهم وعن أمثالهم فيها. فكأن الآية الكريمة – علي ما اخترته من مرجع الضمير – قد أريد بها أن تؤكد ما جاء في أول السورة من إقرارهم لله بخلق الكون وما فيه ، واستلزام ذلك وجوب عبادته وحده.(وفي نظم الدرر ٤٩٧/١٧ إن الكفّار هم المسؤولون). علي أن الآية هنا جاءت حاملة إقرارهم بخلق الله لهم أنفسهم. ولعل ما في الأخذ بهذا من الربط بين ما في أول السورة وآخرها ، بالإضافة إلى تضمّنه التصريح بما كان ضمنًا – لعل فيه ما يجعلنا نأخذ به.

(١) جاء هذا الضمير مسندًا إليه في أول الآية ٨."و كان الأصل الإضمار. ولكنه أظهر الضمير بيانا لما كان في الأولين من الضخامة". نظم الدرر ٣٨٧,٣٨٦/١٧. و كأنه يعني أن المناسب لسياق الحديث ، فيما يلي من الآية – أن تكون الجملة : (فأُهلِكوا ، أو فأُهلك المستهزئون) ليناسب ذلك الحديث عن الكافرين لا إليهم. وقد ذكر أن استعمال (نا) جاء ليدل علي عظم ما نزل بهم ، وتفاهة شأنهم وقتئذ ، مع ما توهموه لأنفسهم من قوّة.

واستعمل (نحن) مستترًا أولَ استعمال له ، وكان ذلك في الآية الخامسة : "أفنضرب عنكم الذكرَ صفْحًا...؟"

واستعمل أيضًا مستترًا سبع مرَّاتٍ بعدئذٍ ، منها مرّات ثلاث جاء فيها هذا الضمير رابطًا بين اسم إن وخبرها الوصف المشتق الذي يحتمل ضميرًا[١] : منتقمون ، مقتدِرون ، مُبرِمون. وسنجد أمثلة أخري لذلك في المحالات إليها التالية.

وجاء مظهَرًا مرّةً واحدة في الآية (٣٢) ؛ فكان مناسبًا لتقرير الأمر المخبَر عنه ، مع بسط للتعبير ، وإفادة قصر الفعل المسنَد إلى الضمير عليه وحدَه سبحانه.

ولعل من غير المبالغة القول أن ذهاب القدماء إلى ضرورة إضمار مثل الفاعل (نحن) في المواضع المشار إلى كونه فيها كذلك سابقًا – فيه ما فيه من المحافظة علي تتابع الارتباط بين الجمل المحتوية عليه ، وما يتصل بها معنويّا من الجمل السابقة واللاحقة ، عن طريق عنصر لغوي ذي طابع واحد ، هو الضمير ، وإن اتّخذ غير صورة واحدة من الاتصال أو الإضمار، ثم الظهور مع الانفصال ، ثم الإضمار (الاستتار) آخر الأمر.

وهكذا نجد الضمير (نا) يتخلل ما يقرب من ثمانين آية من السورة ، ويرد معه الضمير (نحن) مقدّراً وجوبًا . أو إن شئنا : في بنية النصّ العميقة ، أو التحتية – عندما يتقدم الفعل المضارع المبدوء بنون العظمة[٢] ؛ ليتحدّث به الله – تعالى – عن نفسه إلى المخاطبين ، أو إلى الرسول الكريم.

(٣) ويأتي ضمير الغائب المفرد تاليا لضمير (نا) المتصل، من حيث عدد مرات استعماله في الإحالة علي الذات الإلهية.

ويأتي مستترًا ، وظاهرا متصلا ، ومنفصلا.

---

(١) وانظر : النحو الوافي ٤٦٢/١.

(٢) هي نون المضارعة ، التي تسبق الفعل ، إذا ما استعمله غير الواحد من المتكلمين ، أو جاء مع إسناد الفعل للمعظم نفسه.

ويكثر مجيئه مستترا ؛ إذ يبلغ عدد مرّات وروده هكذا تسع عشرة مرة ، منها اثنتان يربط فيهما بين اسم الاستفهام والجملة التي بعده في الآية (٩) ، ويتعدّي به الفعل إلى الضمير العائد علي لفظ الجلالة في الآية (٨٧).

وجاء الضمير المستتر للمرة الأولي في الآية التاسعة.

ونكرّر هنا أن التقدير لهذا الضمير وغيره ، يَبرُز به الارتباط بين الجمل ، فضلا عن ربط أجزاء الجمل ببعضها.

واستعمل ضمير الغائب الظاهر للمفرد مرتين في الآية (٨٤) عائدًا علي ربّ العرش في الآية (٨٢) ، وكان ذلك لغرض قصر الخبر عليه.

واستعمل ضمير الغيبة المتصل سبع مرات.

(٤) استعملت تاء المتكلم المفرد في الآية (٢٩). ومجيئها هنا مناسب لاستعمال ضمير المفرد الغائب في الآية (٢٧) قبلها : "إلا الذي فطرَ(هو-)ني ؛ فإنه سيهدين". كما يناسب المعني الذي تضمّنته الآية ؛ إذ هي تُخبر بتودّد الله – تعالى – للمخاطَبين ، و آبائهم بالكثير من متع الحياة.

ولقد جاءت كلمة (رَبّ) في الآية (٣٢) بعدها مضافةً إلى كاف الخطاب العائدة علي الرسول الكريم ؛ لتقابل هذه التاء ، بما لاحظناه لها من المناسبة لموضعها. فلقد اختصّ الله نبيّه محمدًا بالرسالة ؛ لأنه يعطي كلاًّ من خلقه ما هو مناسب له. ولقد اختصه الله بالرسالة ، التي هي رحمة للعالمين ؛ لأنه هو الصالح لأن يقوم بحقها.

(٥) واستعملت ياء المتكلم عائدة علي الذات الإلهية مرّتين اثنتين ، في الآية (٦٨). وقد حُذِفت ، واكتُفي بدلالة الكسرة عليها. ونستطيع القول إن وراء استعمالها دون الضمير (نا) جاء للغرض نفسه ، وهو ذلك الذي كان وراء استعمال تاء المتكلّم. فالمراد في الآية : "يا عبادِ(ى-) لا

خوفٌ عليكم اليوم ، ولا أنتم تحزنون" – إخبار المخاطَبين بتحَنّن الله تعالى عليهم وطمْأنتهم علي أنفسهم ، ومآلهم. وهو ما يناسبه استعمال هذا الضمير.(١)

كذلك يناسب الدعاء في الآية (٨٨) إضافة كلمة (رَبّ) الواردة فيها إلى الياء ، المجتزَإِ عنها بالكسرة أيضا.

(٦) وأحيل بالاسم الموصول (الذي) سبع مرّات. وجاء في المرّة الأولي (في الآية ١٠) عائدًا علي لفظ الجلالة المقدَّر موصوفا باسمي "العزيز العليم".

وقد جاء استعمال (الذي) في مواضع ، كلّها يستدعي بسط القول بجملة الصلة ؛ لطبيعة بناء الجملة وللعطف عليها.

(٧) ذكرت بعض أسماء الله – تعالى – وهي ، مرتَّبةً حسب عدد مرّات ورودها : الرحمن – العليم – العزيز – الله – الحكيم. وسنتوقف عندها عند الحديث عن التماسك المعجمي. وسنتناول مع ذلك استعمال كلمتي : ربّ – إله.

(ب) الإحالة إلى الرسول الكريم :

مواضع الإحالة :

(١) "ولَئِن سألـ(تَ)هم : مَن خَلَق...؟" (٩).

(٢) "وكذلك ما أرسلنا مِن قبلـ(ك)..." (٢٣).

(٣) "قال(هو–) : أوَلو...بما أُرسِلـ(تُم)(٢) به كافرون"(٢٤).

(٤) " أهُمْ يَقسِمون رحمةَ رَبّـ(ك)؟... ، ورحمة ربّـ(ك)..."(٣٢).

(٥) "و الآخرةُ عند ربّـ(ك) للمتّقين" (٣٥).

(٦) "أَفَ(أنت)تُسْمِع الصُّمّ ، أو تَهْدِي(أنت–) العُمْي ، و مَن كان في ضلال مبين؟" (٤٠).

(٧) "فَإمَّا نذهبَنّ بـ(ك)..." (٤١).

---

(١) قال في "نظم الدرر ٤٧٧/١٧:" ...فخُصّهم بالإضافة إليه كما خصّوه بالعبادة".

(٢) علي احتمال.

(٨) "أَوْ نُرِيَنَّ(كَ)..."(٤٢).

(٩) "فاسْتَمْسِكْ(أنت-) بالذي أوحي إليـ(ك) ؛ إنـ(ك) علي صراط مستقيم"(٤٣).

(١٠) "وإنه لَذِكْرٌ لـ(ك) و لقَوْمِـ(ك) ، وسوف تُسأَلـ(و)ن" (٤٤).

(١١) "و اسْأَلْ(أنت-) مَنْ أرسلْنا من قبلـ(ك)..." (٤٥).

(١٢) "...إذا قوْمُـ(ك)..." (٥٧).

(١٣) "...ما ضرَبوه لـ(ك)..." (٥٨).

(١٤) "وإنه لَعِلْمٌ للسّاعة ...و اتّبِعُونِ(ي-)..." (٦١).

(١٥) "قُلْ(أنت-) : أن كان للرحمن ولدٌ فـ(أنا) أوّل العابدين" (٨١).

(١٦) "فَذَرْ(أنت-)هُمْ..." (٨٣).

(١٧) "وَلَئِنْ سأَلْـ(تَ)ـهُم..." (٨٧).

(١٨) "وقِيلِـ(ه)[١] : يا رَبِّ(ي-)..." (٨٨).

(١٩) "فاصفَحْ(أنت-) عنهم ، وقُلْ(أنت-) : سلامٌ" (٨٩).

دراسة في الإحالات السابقة

أحيل بالضمير إلى رسول الله محمد صلي الله عليه وسلم. وغلب استعمال ضمير الخطاب في تلك الإحالات.

(١) وقد بدأ ذلك باستعمال ضمير الرفع المتصل للمخاطَب المفرد ، في الآية التاسعة : "ولئن سألتَهم : مَن خلق السموات والأرضَ لَيقولُنّ : خلَقَهنّ العزيز العليم". وتكرّرت تلك الطريقة في الإحالة قبل آخر مرّتين للإحالة علي الرسول الكريم ، و ذلك في الآية (٨٧).

(١) رجّح النحّاس عود الضمير هنا علي النبي ، صلي الله عليه وسلم ؛ لتوجيه الخطاب إليه من فريب ، وفي الآية التالية أيضًا. وكان ذكر أنه قيل بعود الضمير علي (ابن مريم) في الآية ٥٧. قال:"و يسمع قول عيسي بن مريم – لمّا يئس من صلاح قومه وإيمانهم –: إن هؤلاء قوم لا يؤمنون". إعراب القرآن٣٧٥.(عن موقع مكتبة مشكاة الإسلامية).

ولقد جاءت الإحالتان في سياق واحد ، وهو سؤال المشركين عن الخالق لإلزامهم الحجّةَ ولانتزاع الإقرار منهم بحقيقة ، لا يستطيعون دفعَها ، وهي انفراد الله بالخلق والإيجاد لكل ما في هذا الكون.

وخطاب الله – تعالى – لرسوله في الآية الأولي إنما جاء تحوّلا بالحديث عن الإشارة إلى المصير الأليم الذي انتهت إليه الأمم المكذِّبة لمثل ما جاء به النبي – صلي الله عليه وسلم – إلى بداية مناقشة الكافرين حول موقفهم من دعوة الإسلام ، وإبطال حُجَجهم التي تقوم عليها عقائدهم المتهافتة. وكان الأساس الأول لتلك المناقشة تسليمهم بكون الله تعالى وحدَه هو الخالق.

وبعد تمام تلك المناقشة ، والإلزام بالحجّة نقف في ختام السورة علي سؤال قريب من هذا الأول ، غير أنه أخصّ منه ، وهو ما في الآية ٨٧: "ولئن سألتهم : مَنْ خَلَقَهم ، لَيقولُنّ : الله. فأني يُؤْفَكون؟"

(٢) وتبعت الإحالة الأولي إحالة بكاف الخطاب في الآية (٢٣). وقد استعمل هذا الضمير لهذا الغرض اثنتي عشرة مرة بعد ذلك.

وجاء عشر مرّاتٍ ضميرًا للجرّ ، كان في أربع منها في محل جرّ بالحرف ، وجاء في محل جرّ بالإضافة في الباقي.

وجاء مرّتين في محل نصب ، كان في إحداهما مفعولا (آ٤٢) ، وفي الثانية اسمًا لإن (آ٤٣).

وكان يلزم استعمال كاف الخطاب في هذه المرّات جميعها ؛ لكون الخطاب في الآيات موجَّهًا إليه – صلّي الله عليه وسلّم – بل مختصًّا به دون غيره. وهو يأتي متخلّلاً خطاب الله تعالى للمشركين ؛ لدحْض عقيدتهم الباطلة ، ونقض مزاعمهم ، وما يتذَرّعون به لعدم قبول دعوته ، صلي الله عليه و سلّم.

وجاء ضمير الخطاب المنفصل مرّةً واحدةً ، مستعمَلاً في السياق نفسه ، في أول الآية (٤٠). وقد ابتُدِئ به هنا ليكون مناط أنكار جملة الخبر المسندة إليه.

وجاء الضمير نفسه واجبَ الاستتار سبعَ مرّاتٍ في السياق نفسه. وكان أول استعماله كذلك في الآية (٤٠) نفسها ، وكان فاعلا لجملة فعلية معطوفة علي جملة : "أفَأنت تُسمِع الصّمّ" السابقة. وهو في المواضع الباقية فاعل لأفعال الأمر ، توجّه بها الخطاب القرآنيّ إلى الرسول الكريم ؛ ليُثبّته علي ما بُعِث به ، وليدعوَه إلى الإعراض عن الكافرين بعد إنذارهم بسوء عاقبة ما هم عليه.

(٣) واستعمل ضمير الرفع للمتكلم المفرد (أنا) مرّة واحدة في إحدي الآيات ، التي جاء فيها الضمير (أنت) واجبَ الاستتار. وكان هذا الضمير مرتكَزَ جملته ، ومَنَاطَ الإسناد فيها. بل إنه جاء في أول جملته ؛ ليشير إلى مدي التباين والمفارقة بين عقيدة الإسلام ؛ التي يصدَع بها النبي – صلي الله عليه و سلم – وبين ما عليه المشركون.

(٤) واستعمل ضمير المتكلم المفرد المتصل مرّتين ، واجتزئ عنه بالكسر.

وكان في المرّة الأولي مفعولا : "...و اتّبِعُونِ..."(آ٦١) ، وفي الثانية مضافًا إليه : "... يا رَبِّ..." (آ٨٨).

وجاء الضمير الأول في سياق التحول عن الخطاب المباشر للكافرين ، إلى بيان الرسول لهم بعضًا ممّا يتصل بشأن عيسي ، متْبِعًا ذلك دعوتَهم إلى الإيمان بما جاء به.

(٥) ثَمَّ احتمالٌ أن يكون ضمير المفرد الغائب ، المقدّر بعد الفعل (قال) في أول الآية (٢٤) عائدا علي الرسول الكريم. وقد يعود علي كلمة (نذير) التي تشمله – صلي الله عليه وسلم – أيضًا. وقد يرجّح ذلك اشتمال ردّ المكذّبين علي ضمير جماعة المخاطبين ؛ ففي الآية : "...قالوا : إنا بما أُرسِلتم به كافرون".[1]

(١) والدرّ المصون ٥٨١/٩. وذكر أن قراءة كل من ابن عامر وحفص (قال) ماضيًا ، بدلا من (قُل) بالأمر لغيرهما ، وأنه يجوز أن يكون للنذير ، أو للرسول ، صلي الله عليه و سلم ، علي كلتا القراءتين. وقال إن الوجه الثاني في القراءة بالأمر هو الظاهر. وهو ما قال به أبوحيان ، الذي لم ير رأي ابن عطية في أن الآية كسابقتها ، إنما تحدثث عمّا كان بين الأمم السابقة ورسلهم. البحر المحيط ١٢/٨ ، ١٣. ولا يأخذ بذلك أبو السعود العمادي ، بل يري أن ما بعد الفعل قد أوحي إلى كل نذير من السابقين أن يقولوه لأممهم.ويؤكد ذلك إجابتهم التي سجلتها =

(٦) وجاء ضمير واو الجماعة مرّةً واحدةً في الجملة الثانية من الآية (٤٤). وهو يشير إلى النبي – صلي الله عليه و سلم – وقومه ، وقد أُسنِد إليه[١] الوعد بسؤال الله لهم عمّا أُسنِد إليهم من واجب تبليغ القرآن إلى العالمين.

(٧) واستعمل ضمير المفرد الغائب المتصل (في محل جرّ بالإضافة) مرّةً واحدةً. وصاحبه ضمير المتكلم المفرد المختصَرة الإشارة إليه[٢]

وقد انتهت الإحالات الضميرية هنا بالانتقال المتكرّر بين جهتي الخطاب والغيبة ، علي ما نرى في الآيات الثلاث الأخيرة من السورة ، بعد أن توالى استعمال الخطاب وحده تقريبًا ، فيما عدا ما في الآيات التالية :

- "قال أو لو جئتكم...؟" (آ٢٣).
- "...و سوف تُسأَلون" (آ٤٤).
- "...فأنا أوّل العابدين" (آ٨١).

وقد جاء ذلك الانتقال بجهة الضمير ، إمّا للتلوين الأسلوبي، أو لبيان مدي رفعة منزلة الرسول الكريم عنده سبحانه ، وذلك في غير مقام توجيه الخطاب له. إنه سبحانه قريبٌ منه ناصرُه ؛ ولذلك يُقسم بدعائه إيّاه أنه منجزٌ له وعده.[٣] ومن ثَمّ عاد التوجّه إليه – صلي الله عليه وسلم – بالخطاب ؛ ليُعرض عن الكافرين ؛ لأنهم سيقفون علي حقيقة ما يُمَارُون فيه.

= آخر الآية. إرشاد العقل السليم ٨١/٥ . وفيما قاله الفارسي ما يشير إلى جواز ما أخذ به السمين وأبو حيان ، لكن ما صرح به يجعل الفاعل علي كلتا القراءتين ضميرا يعود علي النذير .الحجة للفارسي ١٤٨/٦.

(١) الضمير قائم مقام المسنَد إليه (نائب فاعل).

(٢) وهذه إحدي مرّات استعمال ياء المتكلم ،كما سبق.

(٣) التبيان في إعراب القرآن للعكبري ٢ / ١١٤٣.

وجاء استعمال ياء المتكلم مضافةً إلى (رَبّ) مناسبًا للدعاء ، الذي هو غرض النداء هنا. والدعاء مظنّة التواضع ، والخضوع لله. وهو هنا أيضا موضع الاعتزاز به سبحانه وبالإقرار له وحدَه بما تستوجبه هذه الربوبية ، علي غير ما يعتقده المشركون المعاندون.

(ج) الإحالة إلى القرآن الكريم :

عرض مواضع الإحالة :

(١) "إنا جعلنا(هـ) قرآنا عربيًّا..."(٣).

(٢) "وإنـ(ه) في أمّ الكتاب..."(٤).

(٣) "أم آتيناهم كتابًا من قبلـ(ه) ؛ فهم بـ(ه)..."(٢١).

(٤) "قال : أَوَلو جئتكم بـ[أَهْدَي] ممّا وجَدتم عليه آباءَكم؟ قالوا : إنا بـحما> أُرسلْتم بـ(ه)كافرون"(٢٤).

(٥) "بل متّعتُ...حتّي جاءهم [الحَقُّ] ورسولٌ مبينٌ" (٢٩).

(٦) "ولَمّا جاءَهم [الحقّ] قالوا :{هذا} سِحْرٌ ، وإنا بـ(ه) كافرون" (٣٠).

(٧) "وقالوا : لولا نُزّل {هذا} [القرآن] ..." (٣١).

(٨) "فاستمسِكْ بـ <الذي> أُوحِيَ (هو-) ..."(٤٣).

(٩) "وإنـ(ه) لَ[ذِكْرٌ] لك، و لِقَوْمك. وسوف تُسأَلون (عنـ(ه)-)"(٤٤).

(١٠) "الذين آمنوا بـ[آياتنا]..." (٦٩).

(١١) "لَقد جئناكم بـ [الحقّ] ، و لكنّ أكثركم لـ[الْحَقّ] كارهون"(٧٨).

دراسة و تحليل

(١) غلبَت الإحالة إلى الكتاب الكريم (القرآن) بهاء الغيبة للمفرد ؛ فقد استعمل تسع مرات.

وجاء الضمير المتصل أولَ مرّة في الآية الثالثة. وقد سبق ذكر "الكتاب المبين" ، ومن قبله الحرفان المقطّعان "حم" المشيران إلى القرآن ، أو اسم السورة. وهذا كلّه يمهّد لعوْد الضمير علي القرآن.

وعاد في الآية (٣٠) علي كلمة (الحقّ) التي يراد بها القرآن.[١]

وجاء مرتين في الآية(٤٤) ؛ فكن في أولاهما عائدًا علي (الذي) في الآية السابقة ، وهي تشير إلى القرآن ، كما يفهم من السياق. أمّا الثانية فهي مقدَّرة في متعلق الفعل (تُسأَلون). وقد تكون عائدة علي (الذي) أيضًا في الآية السابقة ، وإن كان الأقرب أن تعود علي كلمة (ذِكْر) في الآية نفسها.[٢]

وجاءت هاء الغيبة في الآية (٢١) عائدة علي كلمة (كتاب) فيها.

ويأتي الضمير نفسه في الآية (٢٤) عائدًا علي (ما) الموصولة المشيرة إلى الأهدي ممّا كان عليه آباء المشركين. وهو عامٌّ ، يشمل ما جاء به الأنبياء من الكتب ، التي من بينها القرآن.

وجاء ضمير المفرد الغائب في الآية (٤٣) ، لكن مقدَّرًا ؛ ليشغل موقع نائب الفاعل ، وليربط بين الموصول المحال به إلى القرآن و جملة صلته.

---

(١) قال القرطبي : "حتي جاءهم الحق : أي محمد – صلي الله عليه و سلم – بالتوحيد و الإسلام ... و لمّا جاءهم الحقّ : يعني القرآن".القرطبي ٣٩٤/٨.

(٢) السابق ٤٠٣.

(٢) وجاءت الإحالة إلى القرآن باسم الإشارة مرتين ، في الآيتين (٣٠ ،٣١). وأُحيل به إلى كلمتين بعده ، هما (سِحْر – القرآن). وبذلك تكون الإحالة بعدية.

(٣) واستعملت كلمة (الحقّ) مرّاتٍ أربعًا. وهي تصدُق علي القرآن ، أو ما جاء به الرسول – صلّي الله عليه وسلّم – بعامّة.

(٤) واستعملت (آياتنا) في (آ٦٩) ، وهي ما يشتمل عليه القرآن.

وهكذا نجد ذكر "القرآن" ، والإحالة إليه يتخلّلان السورة كلها تقريبًا. وما ذلك إلا لأنه يمثّل أساس دعوة الإسلام ، ورأسها ، وهو المتحَدَّي به المشركون. ولقد جاءت بداية السورة شاهدةً بذلك. وما تناوُل كل ما تناولته من أوهام المشركين ، ومآلات أمثالهم من السابقين إلا لإلزامهم الحجّة بضرورة الإيمان بالقرآن ، ذلك الذي تمنعهم مقاييسهم الدنيوية القاصرة عن اتّباع النبيّ الذي جاء به.

ولقد تقاربت مرّات الإحالة الضميرية والمعجمية إلى القرآن الكريم ، أو ما يشمله هو وغيره من كتب المرسلين.

وجاء علي النصف منهما تقريبًا الإحالة باسمي الموصول والإشارة.

وجاءت الإحالة باسم الموصول المشترك (ما) في سياق رفض الكافرين لما جاء به المرسلون. فكان استعمالها مناسبًا للتعبير عن مدي إعراضهم عنه ؛ إذ تُظهرهم و كأنهم يُعرضون عن مجرّد تسمية ما يرفضونه. كما يعني استعمال هذا الموصول شمول رفض الكافرين لكل ما جاء به الرسل. ويظهر تشبّثهم بذلك الموقف في الإطناب الذي مثّله التعبير بالموصول وجملة صلته.

وتأتي الإحالة بالموصول المختص (الذي) إلى القرآن في الآية (٤٣) في مقام الإشارة إلى رفعة منزلته ، ووجوب الحرص علي اتباعه والاعتصام به. وهو ما يوفّره لنا الإطناب نفسه

الذي أشرنا إليه سابقًا. وهو مناسب للمقام ، علي أنه يزيد – فيما أري – عن سابقه ؛ لزيادة مبني الاسم الموصول ، واختصاصه.(١)

وجاءت الإحالة باسم الإشارة في موضعين ، يدلاننا علي اختلاف موقف الكافرين من القرآن الكريم ، وتذبذب هذا الموقف ، بل اضطرابه.

فهم يشيرون إليه في الموضع الأول (آ٣٠) ؛ فكأنهم يحدّدون حقيقته – فيما يزعمون – ويحصرونها في المسنَد إلى اسم الإشارة (سِحْر). لكنّهم في موقف آخر سجّلته الآية التالية يشيرون إليه باسم الإشارة (هذا) علي أنه (القرآن) ، وإن كان ذكرهم له باسمه قد لا يخلو من تشكّك ، أو عدم تسليم به. ولعل استعمال اسم الإشارة يعني شيئا من ذلك.(٢)

ولسوف نتناول الإحالات المعجمية عند دراسة التماسك المعجمي.

(د) الإحالة إلى كفّار مكّة :

عرض مواضع الإحالة :

١- "إنا جعلناه قرآنا عربيًّا ؛ لعلّ(كـ)م تعقل(و)ن" (٣).

٢- "أَفَنَضْرِبُ عنـ(كُ)م الذكرَ صَفْحًا ؛ أن كُنـ(تُ)م قَوْمًا مُسرِفِينَ(أنتم-)" (٥).

٣- "فأهلكنا أَشَدَّ منـ(هـ)م..." (٨).

٤- "ولَئِن سألتَ(هـ)م...ليَقولُ(وا-)نَّ..." (٩).

٥- "الذي جعل لـ(كُم) الأرضَ مَهْدًا، وجَعَل لـ(كم)...لعلّ(كم)..."(١٠).

(١) يذكر السكاكي أن كون المسند إليه موصولا يفيد في زيادة التقرير .مفتاح العلوم٩٧.

(٢) وانظر :نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٧ / ٤٢٠.

٦- "...كذلك تُخرَجـ(و)ن"[١] (١١).

٧- "...وجعل لـ(كم) من الفُلْك ، و الأنعام ما تَرْكبُ(و)نَ" (١٢).

٨- "لِتَسْتَوُۥا(وا) علي ظُهُوره، ثمّ تَذكُرَ(وا) نعمة ربّ(كُم) إذا استويـ(تُم) عليه ، وتقولـ(وا): سبحان الذي سَخّر لـ(نا) هذا ،وما كنـ(نا) له مُقْرِنينَ(نحن-)" (١٣).

٩- "وإنـ(نا) إلى ربّـ(نا) لَمُنقلِبونَ(نحن-)" (١٤).

١٠- "وجعلـ(وا) له... إن [الإنسان] لَكَفُورٌ(هو-) مُبِينٌ(هو-)" (١٥).

١١- "...وأَصفا(كم) بالبنين" (١٦).

١٢- "وإذا بُشّر أحدُ(هم) بما ضَرَبَ(هو-) للرحمن مثَلاً ظَلّ وجهـ(ه)مُسْوَدًّا(هو-) ،و(هو) كَظِيمٌ(هو-)"(١٧).

١٣- "وجعلـ(وا) الملائكة...أَشَهِدُ(وا) خَلْقهم؟ ستُكتَبُ شهادتـ(هم) ،ويُسْأَلـ(و)ن" (١٩).

١٤- "وقالـ(وا)...ما عبَدـ(نا)هم. ما لـ(هم) بذلك من عِلْم. أن (هم) إلا يَخْرُصُـ(و)ن" (٢٠).

١٥- "أَمْ آتينا(هم)كتابًا من قبله؛ فـ(هم)به مستمسكون(هم-)؟" (٢١).

١٦- "بل قالـ(وا) : إنـ(نَا) وجَدْ(نا) آباءَ(نا) علي أُمّة، وإنـ(نَا) علي آثارهم مهتدون(نحن-)" (٢٢).

١٧- "بل متّعتُ {هؤلاءِ} وآباءَهم..." (٢٩).

١٨- "ولمّا جاء(هم) الحقّۥ قالـ(وا)... وإنـ(نا) به كافرون(نحن-)" (٣٠).

(١) وقرأ حمزة والكسائي وابن عامر : "تَخرُجون" بالبناء للمعلوم . الحجة لأبي علي الفارسي ١٤٧/٦.

١٩- "وقالـ(وا) : لولا..." (٣١).

٢٠- "أَ(هَمْ)يقسمـ(و)نَ رحمة رَبِّك؟ نحن قسمنا بينـ(هم) مَعَيشَتَ(هم) في الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضَـ(هم) فوقَ بعْضٍ درجاتٍ ؛ ليتّخِذَ بعضُ(هم)...ورحمة ربّك خيرٌ ممّا يَجمَعـ(و)ن" (٣٢).

٢١- "و حمَنْ> يَعْشُ(هو)...نُقَيّضْ لَـ(ه) شيطانا ؛ فهو لـ(ه) قَرِينٌ(هو)" (٣٦).

٢٢- "وإنهم لَيَصُدّونـ(هم) عن السبيل، ويَحسَبـ(و)ن أنـ(هم) مُهْتَدون(هم)" (٣٧).

٢٣- "حَتّي إذا جاءنا (و"جاء(ا)نا" ، علي قراءة)[1] قال(هو)" (٣٨).

٢٤- "ولن ينفعـ(كُم) اليوم... أنـ(كم) في العذاب مُشترَكونَ(أنتم)" (٣٩).

٢٥- "أَفَأنتَ تُسْمِعُ [الصّمَّ] أوْ تَهدي [العُمْيَ] و حمَنْ> كان(هو) في ضلالٍ مبينٍ؟" (٤٠).

٢٦- "...فإنا منـ(هم) منتقمونَ"(٤١).

٢٧- "...الذي وَعَدْنا(هم)؛فإناعليـ(هم) مُقتَدرونَ" (٤٢).

٢٨- "...إذا [قوْمُ] ك منه يَصِدُّ(و)ن" (٥٧).

٢٩- "وقالـ(وا):أآلهتـ(نا) خَيْرٌ أم هو؟ ما ضرَبـ(و)هـ لكَ إلاّ جَدَلاً. بل (هُمْ) [قَوْمٌ] خَصِمُونَ(هم)" (٥٨).

٣٠- "ولو نشاء لَجَعلْنا منـ(كم)..." (٦٠).

٣١- "فلا تَمْتَرُ(وذ)نّ بها ، و اتّبِعـ(و)نِ..." (٦١).

(١) وهي للمدنيين وابن كثير و ابن عامر و أبي بكر. النشر لابن الجزري ٣٦٩/٢.

٣٢- "ولايَصُدّنّـ(كُمُ)الشيطان؛ إنه لـ(كم)عدُوّ مُبِينٌ"(٦٢).

٣٣- "فويْلٌ لـ<حلّذين> ظَلَمـ(وا)..." (٦٥).

٣٤- "هل ينظُرُ(و)نَ إلاّ الساعةَ أن تأتيَ(هم)بَغْتَةً و(هُمْ) لا يشعر(و)ن؟" (٦٦).

٣٥- "[الأَخِلاّءُ](منـ(هم) ـ)[1] يومَئِذٍ بعضُـ(هم)لبعض..." (٦٧).

٣٦- "إن [المُجرِمين] في عذاب جَهَنّمَ خالدون(هم ـ)" (٧٤).

٣٧- "لا يُفَتَّرُ عنْـ(هم) ، و(هم) فيه مُبْلِسونَ(هم ـ)" (٧٥).

٣٨- "وما ظلمنا(هم)،ولكنْ كانـ(وا)(هم)الظالمينَ(هم ـ)" (٧٦).

٣٩- "ونادَ(وْا) : يا مالِكُ ،لِيَقْضِ عليـ(نا) ربُّك. قال : إنـ(كُمْ) ماكثون(أنتم ـ)" (٧٧).

٤٠- "لَقَدْ جئنا(كم) بالحقّ، ولكنّ أكثر(كم) للحقّ كارهون(هم ـ)" (٧٨).

٤١- "أَمْ أبرَمـ(وا) أمْرًا ؛ فإنا مُبْرِمونَ" (٧٩).

٤٢- "أمْ يحسَبـ(و)ن أنا لا نَسمَع سِرَّ(هم) ونَجْوا(هم)؟ بلي ، ورسُلُنا لديْـ(هم) يكتبون" (٨٠).

٤٣- "...عَمَّا يَصِفـ(و)ن" (٨٢).

٤٤- "فذَرْ(هم) يخوضـ(وا) و يَلْعبـ(وا) حتَّي يُلاقـ(وا) يومَـ(هم) الذي يُوعَدُ(و)ن" (٨٣).

٤٥- و لا يَملِكُ الذين يَدْعُـ(و)نَ من دونه الشفاعةَ... و(هم) يَعلمـ(و)ن" (٨٦).

(١) عقب الرازي بوصف الكلمة بالتركيب : في الدنيا. تفسيره ٢٢٥/٢٧.، و وصفهم أبو السعود بأنهم : المتحابون في الدنيا ، علي الإطلاق ، أو في الأمور الدنيوية. تفسيره ٩٣/٥.

٤٦- "وَلَئِن سألتَ(هم) : من خَلَقَ(هم)؟ لَيَقُولُ(ون)نّ : اللهُ ؛ فَأني يُؤْفَكَ(و)نَ" (٨٧).

٤٧- "وقِيلِه : يا رَبِّ ، إن {هؤلاءِ} قَوْمٌ لا يُؤمنَ(و)ن" (٨٨).

٤٨- "فاصْفَحْ عنَ(هـ)م،وقُلْ:سلامٌ؛فسوف يعلمَ(و)نَ" (٨٩).

دراسة في الإحالات السابقة

لم تذكر السورة (كفّار مكّة) ذكرا مباشرا ، بل وُجّه إليهم الخطاب باستعمال ضمير المخاطب في الآية الثالثة: "إنا جعلناه قرآنا عربيًّا ؛ لعلّكم تعقلون". ثم توالت الإحالة إليهم بالضمائر، وغيرها.

(١) فكانت الإحالة إليهم بضمائر الخطاب كالتالي :

- استعمل ضميرالخطاب المتصل للجمع (كُم) ستّ عشرة مرّة.
- واستعمل ضمير الخطاب أيضًا ، لكن للرفع (و هو /ثُم/) مرّتين ، في الآيتين :

ا- "... أن كنتم قومًا مُسرِفين".

ب- "...إذا استويتم عليه".

- وأُحيل بالضمير نفسه ، لكن كان منفصلا مقدّرًا(أنتم). ووقع هذا مرّتين. وهذا علي الأخذ بتقديره في الصفات العاملة وجموعها ؛ لترتبط عن طريقه بالخبر. وفي رأيي أنه تقدير له وجاهته ؛ إذ عن طريقه يتم الارتباط بين ركني الجملة ، وذلك علي ما نري في الآيتين :

ا- "... أنكم في العذاب مشتركون" (٣٩آ).

ب- "...إنكم ماكثون"(٧٧آ).

(٢) ويقابل ما سبق الإحالة إليهم بضمير المتكلمين المتصل (نا) اثنتي عشرة مرّة. وجاء هذا الضمير أولا في (آ١٣) ، تلك التي تبين ما ينبغي عليهم أن يقولوه شكرًا لله علي ما ذلّله لهم من المَركَب.

وكذا جاء في الآية (٢٠) في الزعم بأن ما هم عليه سابق في مشيئة الله ؛ بمعني أنهم مجبَرون عليه.

وجاء أيضًا في آيتي (٢٢ ،٣٠) هاتين اللتين بيّنتا إعلانهم التمسّك بما وجدوا عليه آباءهم وكفرهم بالحقّ الذي جاءهم. وجاء مع ذلك تقدير الضمير (نحن) العائد علي الكافرين ، مرّاتٍ أربعًا ؛ ليكون رابطًا بين صفات (مشتقّات) مجموعة وما كن مبتدآت لها في الأصل.

وجاء الضمير (نا) أيضًا راجعًا إليهم في الآية (٥٨) في بيان استمساكهم بشِرْكهم ، ومقارنة ما هم فيه بحال مَن توَهّموا ألوهيّة عيسي ، عليه السلام.

ويأتي أخيرًا في الآية (٧٧) في ذِكْر مناشَدتهم مالكًا ، خازن النار ، أن يدعو الله أن يُقضَي عليهم ؛ فيموتوا ؛ طلبًا للنجاة ممّا هم فيه من العذاب.

(٣) وتأتي واو الجماعة لتمثّل وسيلة الإحالة الكثيرة الاستعمال في الإشارة إلى كفّار مكّة؛ إذ استعملت اثنتين وأربعين مرّةً.

ويختصّ منها بالغيبة أربع وثلاثون ، منها ثلاث مقدّرة ، هي :-

- "لَيَقولُ(وا)نّ" (آ٩ ،٨٧).
- "فلا تَمْتَرُ(و)نَّ" (آ٦١).

وقد استعملت واو الجماعة لإرادة التحوّل عن مخاطبة الكافرين ؛ ليكون الحديث عنهم بدلاً من أن يُتَوَجَّه به إليهم ، وإن كان قد ابتدأ كذلك ، كما رأينا. وما ذلك التحوّل إلا لإعراضهم عن الهداية التي جاء بها القرآن ؛ فناسب ذلك أن يُعرض الله عنهم بخطابه.

وبدأ هذا التحوّل باستعمال ضمير الغيبة المتصل لجمع المذكر (هم) ، ذلك الذي يقترب في عدد مرّات وروده من عدد مرّات ورود واو الجماعة دالّة علي الغائبين ؛ إذ استعمل ثلاثين مرّةً.

وقد استعمل مقدّرًا تسْعَ مرّاتٍ. وقد كان دائمًا للربط بين الوصف المجموع وما قبله من موصوف ، أو مبتدإ ، أو شبهه. وهذا الثاني هو الغالب.

واستعمل ضمير الغيبة لجمع المذكر منفصلا ثماني مرات.

ونستطيع القول إن الحديث عن هؤلاء الكفّار كان يزاوج بين استعمال واو الجماعة ، وضمير الجمع للغائبين ، أو المخاطَبين. ولا تعني المزاوجة الاستواء في عدد مرّات الاستعمال في الآية.

(٤) وجاءت الإحالة بضمير الغيبة للمفرد المذكر المتصل. علي أن تلك الإحالة ليست مباشرة ، بل تنصرف إلى كلمة (أحدهم) – أحد الكافرين – أو إلى (وجهه) كما في الآية (١٧). وقد تعود إلى مَن يندرج كفّار مكّة تحته مع غيرهم ممّن يماثلونهم في الاتصاف بما تشير إليه الآية (٣٦) : " ومَن يَعْشُ عن ذِكْر الرحمن...".

وجاء الضمير (هو) مستترًا تسع مرات عائدًا علي بعض العامّ ، الذي يندرج تحته كفار مكّة. ويعود الضمير في ثلاث من هذه المرات علي (أحدهم) أو (وجهه) ، ويعود في إحداها علي المعرض عن ذكر الله ، الذي وصفته الآية (٣٦). وجاء الضمير محيلا علي العامّ نفسه – " مَن يَعْشُ عن ذكر الرحمن" – مرّةً ، أو اثنتين في الآية (٣٨)[١]، في الفعلين : جاء ، وقال.

وجاء الضمير نفسه ثلاث مرّات رابطًا بين الأخبار التي هي أوصاف ومبتدآتها ، أو ما كان مبتدأ ، في الأصل ، علي ما رأينا في :

- "...ظلّ وجهه مُسْوَدًّا(هو-) وهو كَظِيمٌ[٢](هو-)".
- "...فهو له قَرِينٌ(هو-)".

وثمّة ضمير يربط بين اسم الموصول العام وجملة صلته في الآية (١٧) : "...بما ضرب(هو-)للرحمن...".

(١) على الأخذ بقراءة حفص بإفراد الضمير في "جاءنا".

(٢) وتصلح هذه الصفة أن تكون للوجه.

كما جاء الضمير (هو) مستترًا في (آ٤٠) عائدًا علي عام ، يندرج تحته الكافرون أيضًا وهو : "مَنْ كأن في ضلال مبِين". فهذا الضمير رابط بين جملة (كأن) و(مَن) الموصولة قبلها.

واستعمل ضمير الرفع المنفصل (هو) مرّةً واحدةً في أول جملة الحال في آخر (آ١٧) عائدا علي (أحدهم) المشار إليه سابقًا.

(ب) المحالات إليهاالفرعية:

ثمّة محالات إليها غير هذه الأربعة السابقة الرئيسة ، لا يتوالى ذكرها دائما ، أو لا تتخلل الإشارة الدائمة إليها أجزاء السورة الكريمة ، مثلما رأيناه خاصًّا بالمحالات إليها السابقة. إنما هي وحدات لغوية[١]يدور حولها حديث الآيات في القضية من قضايا السورة ؛ ليتوالى الأمر علي ذلك في بقيتها. وبذلك يكتمل بناء السورة ؛ لتكون موفِيةً أتمّ ما يكون الوفاء برسالتها البيانية ، والدعويّة ، والهدائيّة. وربّما تكرّرت بعض هذه المحالات إليها ، بصورة أو بأخري ، في غير قضية ، لكنّ ذلك لا يغيّر من حقيقة فرعيّتها علي سابقاتها ، كما أن هذا التكرار يرجع إلى ما يراد من توظيفه في توثيق الترابط بين أجزاء السورة. ولعل هذا يتضح جليًّا فيما نراه من تشابه بعض الأجزاء الأولي من السورة ببعض مما يقرب من نهايتها ، في الحديث عن تنزيه الله تعالى عن أن يكون له ولد ، كما اجترأ الكافرون علي الزعم به. غير أن أوائل السورة تفنّد هذا الزعم ، على حين أن آخرها يكون قد انتهي إلى تقرير تنزيه الله تعالى عن مثل هذا ؛ لأنه خالق الكون بما فيه ومن فيه؛ فلا يليق به سبحانه إلا كل كمال.

إن العلاقة هنا بين نوعي المحالات إليها علاقة تداخل ، واشتمال ، نُظّمت فيه المعاني تنظيمًا شديد الترابط. وقد كانت الأنماط الكثيرة الاستعمال (النوع الأول من المحالات إليها) تشكل مداخل ثابتة لمعلومات مستقرّة. أمّا الأنماط الأقل استعمالا (النوع الثاني من المحالات إليها) فقد

(١) وهي وحدات ملفوظة غالبًا ؛ لأن بعضها مقدّر ، مفهوم من السياق ، كما سنري.

خضعت للتناوب بين أن تشغل مساحة كبيرة أو ضيّقة ،مع توازن بين الاكتناز compactness وسهولة التناولaccess[1].

و سأعرض هنا لمواضع الإحالة للمحالات إليها الفرعية موزَّعةً علي قضايا السورة الستّ ، معقبًا كلاً بما يناسبه من التعليق.

١- ورد تحت القضية الأولى : <u>القرآن تذكرة للمخاطبين المتغافلين عن الحقائق الكونية الظاهرة الداعية للإيمان (١-١٤)</u> :

ا) الكتاب المبين (آ ٢) :

- إنا جعلنا(هـ) قرآنا عربيًّا... (آ٣).
- وإنـ(ـه) في أمّ الكتاب لدينا... (٤)[٢].

ب) أنبياء الأولين ، من الآية : "وكم أرسلنا من نبي في الأولين" (٦) :

– وما يأتيهم /من نبى/[٣] إلاّ كانوا به يستهزئون (٧).

ج) الأولون :

– وما يأتيـ(هم) من نبي إلاّ كانـ(وا) به يستهزئـ(و)ن (٧).

– فأهلكنا أشدّ منـ(هم) بطشًا ، ومضى مثل /الأولين/ (٨).

د) السموات والأرض :

– ولئن سألتَهم : مَنْ خلَق السموات والأرض لَيَقولُنّ : خلَقَـ(هُنّ) العزيز العليم (٩).

هـ) الأرض :

- الذي جعل لكم الأرضَ مَهْدًا ، وجعل لكم فيـ(ها) سُبُلاً... (١٠).

(١) النص والخطاب والإجراء ، روبرت دي بوجرأند ١٩٢، بترجمة الدكتور تمام حسأن.

(٢) الرقم علي يسار الآية هو رقمها دائمًا.

(٣) ما بين هاتين الشرطتين المائلتين / / هو اللفظ المحال إليه بإعادة ذكره هو نفسه.

و) ماء :

– والذي نَزّل من السماء ماءً بقَدَر ؛ فأنشَرنا بـ(ه) بلْدةً مَيْتًا... (١١).

ز) إنشار البلْدة الميْتة (المفهوم من الآية السابقة) :

– ...ماءً بقَدَر ؛ فأنشَرنا به بَلْدةً مَيْتًا ، كـ { ذلك} (الإنشار)[١] تُخرَجون (١١).

ح) الأزواج :

– والذي خلق الأزواجَ كلَّها(ها)... (١٢).

ط) (ما) من "ما تَرْكَبون" (آ١٢) :

– ...و جعل لكم من الفُلْك والأنعام ما تَركَبون (ه).

– لتَستَووا علي ظُهُور(ه)[٢]، ثمّ تذكروا نعمة ربّكم إذا استويتم عليه (ه) ، وتقولوا : سبحان الذي سخّر لنا {هذا}، وما كنَّا لـ (ه) مُقْرِنين (١٣).

إن هذه المحالات إليها ترجع جميعًا إلى المحالات إليها الأولي الرئيسة ، أو تدور في فلكها ، وتخدم تفصيل الحديث عنها.

فقد أشارت الآية الأولي :"حم" إلى القرآن الكريم، وكانت قسَمًا به، أو اسمًا للسورة ، ثم عُطِف الخاص "حم" علي العام – "الكتاب المبين".

وكان الحديث عن موقف الأمم السابقة من أنبيائها لمشابهته موقف الكافرين المعرضين عن النبيّ – صلي الله عليه وسلّم – و لتحذيرهم من مثل مآل هذه الأمم.

ثم جاء الحديث عمّا في خلق الكون من دلائل عظيمة علي قدرة الله ، وتفضله بالأنعام علي المخاطبين وغيرهم ، بما ييسّر لهم معيشتهم ، ويدل علي قدرته سبحانه علي

---

(١) وجود الكلمة أسفل السطر دليل أنها مقدّرة ، يشير إليها اسم الإشارة المذكور في الآية ، والشرطة أيسرها في الأعلى دليل افتقادنا للكلمة في سطح التركيب . وهي – كما نري – المصدر المأخوذ من الفعل المذكور في موضع الإحالة.

(٢) قال النحاس : "أي علي ظهور هذا الجنس" معاني القرآن له ٣٣٩/٦ ، والبحر المحيط ٩/٨.

الإحياء بعد الموت. جاء ذلك كله بعد إقرار المخاطبين من الكافرين بانفراد الله تعالى بخلق السموات والأرض. وهو – كما تري – حديث عن الذات الإلهية.

وهكذا نجد هذه المحالات إليها الفرعية ، قد أشارت ، بوضوح ، إلى : القرآن – الكافرين – الله ، تعالى. وهو ما سنقف علي مثله في تناول بقية هذه المحالات إليها ؛ ممّا يشهد علي انضوائها تحت المحالات إليها الرئيسة، حسبما يتناسب مع كل قضية من قضايا السورة الستّ.

تتقدّم هنا ضمائر الجرّ من حيث العدد ، وهو ما سنجده غالبًا في المحالات إليها الفرعية. وهو ما رأينا قريبا منه في المحالات إليها الأصلية. وما ذلك إلا لما سجلنا عنه أن استعماله هو الوسيلة التي تستكمل بها الجملة بعض أساسياتها أحيانا ، كما تمتدّ به لتصير عبارة مطوّلةً ، كثيرة المتعلقات بالجملة النواة.

وسنجد أن ضمائر الجرّ هنا ستتساوى في العدد مع هذه الضمائر التي عادت علي المحالات إليها الأصلية[١].

٢ – وتحت القضية الثانية : فساد ما عليه المشركون من معتقدات (من الآية ١٥ – ٢٨) :

ا) جُزْء ، من الآية : "وجعلوا له من عباده جُزْءًا..." (١٥):

– "أَمِ اتّخَذ مِمَّا يَخلُق /بناتٍ/ وأَصفاكم بالبنين؟" (١٦).

– "وإذا بُشِّر أحدهم بـ حما> ضرَب للرحمن مثلاً..." (١٧).

– "أوَ {مَنْ} يُنَشَّأُ في الحِلْيَة..." (١٨).

ب) الإنسان :

– ...إن الإنسان لَكَفورٌ(هـ) مُبِينٌ(هـ) (١٥).

ج) أحدهم :

(١) بلغ عددها في الجانبين (٥٤).

– وإذا بُشّر أحدُهم بما ضرَب(هو) للرحمن مثَلاً ظلّ وجْهُ(ه) مسْوَدًّا ، وهو كَظِيمٌ (هو) (١٧).

د) وجهه :

– ...ظلّ وجهه مُسْوَدًّا(هو) ، و هو كَظِيمٌ[1](هو) (١٧).

هـ) (مَنْ) من "مَنْ يُنَشّأ في الحِلْية" في :

- أَوَمَنْ يُنَشَّأ(هو) في الحِلْيَة ، و(هو) في الخِصَام غيْر مُبِين(هو)؟ (١٨).

و) الملائكة :

– وجعلوا الملائكة الذين (هم) عباد الرحمن إناثا. أَشَهِدوا خَلْقَ (هم)؟ ستُكتَبُ شهادتُهم(عن(هم))... (١٩).

ز) شهادتهم :

– ...ستُكتَب شهادتُهم ، و يُسْأَلون(عن(ها)) (١٩).

ح) القول المفهوم من الآية (٢٠) :

– وقالوا :لو شاء الرحمن ما عبدناهم.ما لهم بـ { ذلك}(القول) مِن عِلْم (٢٠).

ط) كتاب :

– "أَمْ آتيناهم كتابًا مِنْ قبله ؛ فهم بـ(ه) مُستَمسِكون؟" (٢١).

ى) آباءنا :

(١) تصلح هذه الصفة الثانية أن يوصف بها كلا المحال إليهما (ج) و(د). وتبدو المجازية في وصف الثاني بها أكثر مما تكون عليه إذا وصف بها الأول. وقد ذكر القرطبي أن الصفة يراد بها أحد المعاني : حزين ، مكروب ، ساكت. تفسيره ٣٨٤/٨. و في الوسيط: "كظم الرجل غيظه ، و علي غيظه : أمسك علي ما في نفسه منه صافحًا ، أو مغيظًا ؛ فهو كاظم وكظيم. وكظمني الغيظُ ؛ فأنا كظيم و مكظوم.". ولا بد من ملاحظة أن هذا المعني مجازي بالقياس إلى اللذين سبقاه في هذا المعجم. وهما : كظَم اللسِّقاءَ : ملأه وسدّ فاه ، وكظَم مجري الماء :سدّه.

– "بَلْ قالوا :إنا وجدْنا آباءَنا علي أُمّةٍ ، و إنا علي آثار(هم) مِهتدون" (٢٢).
– "...علي أمّة وإنا علي آثار(هم) مُقْتَدون" (٢٣).
ك) القول المأخوذ من (قالوا) في الآية (٢٢) :
– وكـ {ذلك}(القول) ما أرسلنا من قبلك في قرية مِن نذيرٍ إلاّ قال مترَفوها... (٢٣).
ل) قَرْية :
– "وكذلك ما أرسلنا في قرية...إلاّ قال مترَفو(ها)..." (٢٣).
م) نَذِير :
– قال(هو) : أوَلَوْ جئتكم بأهدَي...؟ قالوا : إنا بما أُرسِلـ (تم) به كافرون (٢٤).
ن) مترَفو الأمم السابقة (مترَفوها) :
– ...قال مترَفوها:إنْ(نَا) وجَد(نا) آباءَ(نا)علي أمّة، وأنـ(نا) علي آثارهم مقتَدون (نحن) (٢٣).
– قال : أوَلَو جئتُ(كم) بأهدَي...قالـ(وا) : إنـ(نَا) بما أُرسِلتم به كافرون(نحن) (٢٤).
– "فانتقمنا منـ(هم) ؛ فانظر كيف كان عاقبة /المكذّبين/" (٢٥).
س) الأهدى ممّا عليه آباء الكفّار السابقين :
– "قال : أوَلو جئتكم بأهدَى...؟ قالوا : إنا بـ<ما> أُرسلتُم به كافرون" (٢٤).
ع) (ما) في الآية السابقة :
– "...بما أرسِلتم بـ(ه)..." (٢٤).
ف) إبراهيم :
– "و إذ قال إبراهيم لأبيـ(ه) و قومـ(ه) : إنني..." (٢٦).
– "إلا الذي فطَرنـ(ي) ؛ فإنه سيهدين(ي)" (٢٧).

- "و جعلـ(هو ¯)ها[١] كلِمةً باقيَةً في عَقِبـ(ه)..." (٢٨).

ص) أبو إبراهيم ، و قومه :

- "و إذ قال إبراهيم لأبيه ، و قومه : إنني بَراءٌ ممّا تعبد(و)ن" (٢٦).

ق) (ما) في الآية السابقة :

- "...إنني بَرّاءٌ ممّا تعبدون(ه ¯)" (٢٦).

-"إلاّ <الذي> فَطَرَ ◌َني ؛ فإنـ(ه) سيَهديـ(هو ¯)نِ" (٢٧).

ر) القوْلة المتبرّئ بها إبراهيم من الشرك (من الآيتين السابقتين) :

- "وجعلـ(ها) كلمة باقية في عَقِبه..." (٢٨).

ش) عَقِب إبراهيم :

- "وجعلها كلمةً باقيَةً في عَقِبه ؛ لعلـ(هم) يَرجِعـ(و)ن" (٢٨).

٣- وتحت القضيّة الثالثة : <u>توهّم الكافرين ارتباط الرسالة بالثّراء و النفوذ (من الآية ٢٩ إلى ٥٦)</u> جاء ما يلي :

ا) رجل من القريتين :

- "...علي رجل من القريتين عظيم(هو ¯)" (٣١).

ب) رحمة ربّك :

- "...ورحمة ربّك خَيْرٌ(هي ¯) ممّا يجمَعون" (٣٢).

ج) (ما) في الآية السابقة :

- "...خَيْرٌ ممّا يجمعون(ه ¯)" (٣٢).

د) الناس :

- "ولولا أن يكون النّاسُ أمّةً واحدة لَجعلنا لمَن يكفر بالرحمن(¯ منـ(هم) ¯) لِبيوتـ(هم)..." (٣٣).

---

(١) والدر المصون ٥٨٣/٩ حيث يرجّح كون الضمير المرفوع في الكلمة لإبراهيم لا لله ، وإرشاد العقل السليم ٨٢/٥.

- "ولبيوتـ(هم) أبوابًا ، وسُرُرًا ، عليها يتّكئـ(و)ن" (٣٤).
- "و(لَجعلنا لـ(هم)) زُخْرُفًا..." (٣٥).

هـ) سُقُف الفضّة، والمعارج، والأبواب، والسّرُر، والزخْرُف:

- "...وإن كلّ {ذلك} لَمَّا متَاعُ الحياة الدنيا..." (٣٥).

و) (مَنْ) يَعْشُ عن ذِكْر الرحمن :

- "ومَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْر الرحمن نُقَيّضْ لَـ(ه) شيطانا ؛ فهو لـ(ه) قَرِينٌ(هو)" (٣٦).
- وإنهم لَيَصُدّونـ(هم) عن السبيل ، و يَحْسبـ(و)ن أنـ(هم) مهتَدون(هم)" (٣٧).
- "حتّي إذا جاء(هو)نا قال(هو) : يا ليت بينـ(ي) و بينك..." (٣٨).

ز) شيطان :

- " ...نُقَيِّضْ له شيطانا ؛ فـ(هو) له قَرينٌ(هو)" (٣٦).
- "وإنـ(هم) لَيَصُدّ(و)نهم..." (٣٧)[١].

-"حتّي إذا جاء(هو)نا (أو : جاء(ا)نا ، عل قراءة)[٢] قال(لـ(ه)): ...بيني وبينـ(ك) بُعْدَ المشرقين ؛ فبئس القَرِينُ(أنت)" (٣٨).

- "و لن ينفعـ(كم) اليوم إذ ظلَمـ(تم) أنـ(كم)في العذاب مشتركون(أنتم)" (٣٩).

ح) (من) كان في ضلال مبين :

- "فإنك لا تُسمع الصّمّ ، أو تهدي العُمْي ، و مَنْ كان(هو) في ضلال مُبين" (٤٠).

ط) ضلال :

- "...ومَنْ كان في ضلال مبين(هو)" (٤٠).

---

(١) وعاد الضمير هنا علي جمع المحال إليه مراعاة لما تحتمله (مَن). وعلي ذلك جاءت الآية التالية واصفة فعل القرناء من الشياطين مع الكافرين العاشين عن ذكره تعالى.

(٢) و ألف الاثنين في هذه القراءة تشير إلى الكافر و شيطانه ، أو قرينه. و يصح أن يعود الضمير في قراءة الإفراد إلى الكافر أو قرينه من الشياطين.

ى) (الذي) وعدناهم :

- "أو نُرِيَنّك الذي وَعَدْناهم(إياه ¯)..." (٤٢).

ك) موسي :

- "ولقد أرسلنا موسي بآياتنا إلى فرعون و مَلَئه ؛ فقال(هو ¯) : إنـ(ي) رسول رَبّ العالمين" (٤٦).
- " فلمّا جاء(هو ¯)هم بآياتنا..." (٤٧).
- "وقالوا : يا أيّها [الساحرُ] ادعُ لنا ربّـ(ك) بما عَهِد عند(ك) إننا لَمهتَدون" (٤٩).
- "أم أنا خير من {هذا} <الذي> (هو) مَهِينٌ(هو ¯) ، و لا يكاد(هو ¯) يُبِينُ(هو ¯)" (٥٢).
- "فلولا أُلقِي عليـ(ه) أَسْوِرةٌ من ذَهَبٍ ، أو جاء معـ(ه)..." (٥٣).

ل) فرعون و ملؤه :

-"ولَقد أرسلنا موسي بآياتنا إلى فرعون وملئه؛ فقال(لـ ¯(هم) ¯):أني رسول ربّ العالمين" (٤٦).
- "فلَمّا جاء(هم)بآياتنا إذا (هم) منها يضحكـ(و)ن" (٤٧).
- "وما نُريـ(هم) من آية...وأَخَذنا(هم) بالعذاب ؛ لعلّـ(هم) يَرجعون" (٤٨).
- "وقالـ(وا) : يا أيُّها الساحر ، ادعُ لـ(نا)...إنـ(نا) لَمهتَدون(نحن ¯)" (٤٩).
- "فلَمّا كشَفنا عنـ(هم) العَذابَ إذا (هم) يَنكُثُـ(و)ن" (٥٠).

م) آياتنا ، آية :

- "فلَمّا جاءهم بآياتنا إذا هم منـ(ها) يضحكون" (٤٧).
- "و ما نُريهم من [آية](منـ ¯(ها) ¯) إلا (هي) أكبر من أختـ(ها)..." (٤٨).

ن) فرعون :

- "و نادي فرعون...قال(هو ¯): يا قومِ(ي ¯) ، أليس لـ(ي) ملكُ مصر؟ وهذه الأنهارُ تجري من تحتـ(ي)..." (٥١).
- "أم (أنا) خَيْرٌ(أنا ¯)...؟" (٥٢).

– "فاستَخَفّ(هو) قوم(ه) ؛ فأطاعو(ه)" (٥٤).

س) قوم فرعون :

– "ونادي فرعون في قومه ، قال : يا [قومِ] ... أفلا تُبصِر(و)ن" (٥١).

– "فاستخَفّ [قوم]ه ؛ فأطاع(و)ه. إذ (هم) كانـ (وا) [قومًا] فاسقين(هم)" (٥٤).

– "فلمّا آسف(و)نا انتقمنا منـ(هم) ؛ فأغرقنا(هم) أجمعين(هم)" (٥٥).

– "فجعلنا(هم)..." (٥٦).

٤– و تحت القضية الرابعة:<u>عيسى بن مريم عبد الله و رسوله (٥٧ – ٦٥)</u>:

ا) ابن مريم :

–"ولمّا ضُرِب ابن مريم مثلا إذا قومك منـ(ه) يصِدّون" (٥٧).

–"وقالوا:أآلهتنا خيْر أم (هو)؟ ما ضربو(ه) لك إلا جَدَلاً..."(٥٨).

– "إن (هو) إلا عبدٌ، أنعمنا علي(ه)، وجعلنا(ه) مثلاً..." (٥٩).

– "وإنـ(ه) لَعِلْمٌ للساعة..." (٦١).

– "ولَمّا جاء [عيسى] بالبيّنات قال(هو) : قد جئـ(تـ)كم بالحكمة ، ولأُبيّن(أنا) لكم...و أطيعونِ(ي)" (٦٣).

– "إن الله هو ربّـ(ى) و ربّكم ..." (٦٤).

ب) الساعة :

– "وإنه لَعِلْمٌ للسّاعة ؛ فلا تمترُنّ بـ(ها)..." (٦١).

– " هل ينظرون إلا [الساعة] أن تأتي(هي)هم..." (٦٦).

ج) الشيطان :

– "و لا يصُدّنّكم الشيطان. إنـ(ه) لكم عدوٌّ(هو) مبينٌ(هو)" (٦٢).

د) (قوم عيسي)[١]:

– و لمّا جاء عيسي(قومه) بالبينات قال : قد جئتـ (كم) بالحكمة، و لأُبيّن لـ(كم) بعض الذي تختلف(و)ن فيه ؛ فاتّقـ(وا) الله ، وأطِيعـ(و)نِ (٦٣).

– "إن الله هو ربّي و ربّـ(كم) ؛ فاعبد(و)هـ" (٦٤).

– "فاختلف الأحزاب من بينـ(هم)"[٢] (٦٥).

هـ) بعض (الذي) تختلفون فيه :

– "... ولأبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيـ(ه)..." (٦٣).

و) إفراد الله بالعبادة ، المفهوم من أول الآية ٦٤ :

- "إن الله هو ربّي وربّكم؛ فاعبدوه.{هذا}(القول السابق)صراط مستقيم" (٦٤).

ز) الأحزاب :

– "فاختلف الأحزاب من بينهم ؛ فويلٌ للذين ظلموا(مذ(هم))..." (٦٥).

ح) الّذين :

– "...فويل للذين طلمـ(وا)..." (٦٥).

ي) يوم :

– "...من عذاب يوم أليم(هو)" (٦٥).

٥– وتحت القضية الخامسة : <u>وجوب العمل للآخرة للنجاة من عذابها ، والفوز بنعيمها (٦٦– ٧٨)</u> :

ا) الأخلاّء :

---

(١) وهو مرجع متصيَّد من السياق ؛ و لذا وضعته بين قوسين.وسنراه مقدرا في الآية التالية. وراجع البيان في روائع القرآن ٢٣٠,٢٣١، للدكتور تمام حسان حيث الإشارة إلى المرجع المتصيّد.

٢ قال الرازي إن الضمير هنا يرجع إلى الذين خاطبهم عيسى في قوله :"قد جئتكم بالحكمة" ، و هم قومه. تفسيره ٢٧ /٢٢٤.

- "الأخلاّء يومئذٍ بعضـ(هم) لبعض عدوّ..." (٦٧)

ب) عباد الله المتّقون :

– "يا عبادِ،لا خوفٌ عليـ(كم) اليوم، و لا (أنتم) تحزنـ(و)ن" (٦٨).

– "<الذين> آمنـ(وا) بآيلتنا ، و كانـ(وا) مسلمين(هم ـ)"(٦٩).

– "ادخلـ(وا) الجنّة (أنتم) وأزواجـ(كم) تُحبَر(و)[1]ن" (٧٠).

– يُطاف عليـ(هم) ، و(أنتم) فيها خالدون(أنتم ـ) (٧١).

– و تلك الجنّة...أورثـ(تمو)ها بما كنـ(تم) تعملـ(و)ن (٧٢).

– لـ(كم) فيها فاكهة...تأكلـ(و)ن (٧٣).

ج) الجنّة :

– ادخُلوا الجنّة أنتم ، وأزواجكم تُحبَرون(فيـ(ها)ـ) (٧٠).

– يُطَاف عليهم(فيـ(ها)ـ) بصِحاف من ذهَب ، وأكواب ، وفيـ(ها) ما تشتهيه... وأنتم فيـ(ها) خالدون (٧١).

– "و <تلك> [الجنّة] {التي} أورثتمو(ها) ..." (٧٢).

– "لكم فيـ(ها) فاكهة كثيرة..." (٧٣).

د) (ما) تشتهيه الأنفس :

– و فيها ما تشتهيه الأنفُس ، وتَلَذّ(هـ ـ ، أو : بهـ ـ) الأعيُن (٧١).

هـ) (ما) من "...بما كنتم تعملون" (٧٢) :

– و تلك الجنّة التي أورثتموها بما كنتم تعملون(بهـ ـ) (٧٢).

و) المجرمون :

– إن المجرمين في عذاب جهنّم خالدون(هم ـ) (٧٤).

(١) يعود هذا الضمير علي المخاطبين وأزواجهم ، وكذلك الضمائر في الآيات الثلاث التالية.

- لا يُفَتّر عنـ(هم) ، و (هم) فيه مُبْلِسون(هم ¯) (٧٥).
- وما ظلمنا(هم) ، و لكن كانـ(وا) (هم) الظالمين(هم ¯) (٧٦).
- وناد(وا) : يا مالكُ ، لِيَقْضِ عليـ(نا) ربّك. قال : إنـ(كم) ماكثون(أنتم ¯) (٧٧).
- لقد جئنا(كم) بالحقّ ، و لكنّ أكثر(كم) للحقّ كارهون(هم ¯) (٧٨).

ز) عذاب جهنّم :

- لا يُفَتّر(هو ¯) عنهم ، وهم فيـ(ه) مبلسون (٧٥).
- ونادوا : يا مالك...قال : إنكم ماكثون(¯ فيـ(ه) ¯)(٧٧).

ح) مالك :

- ونادوا : يا مالك...قال(هو ¯)...(٧٧).

٦- وتحت القصية السادسة : تهديد المشركين وتحوّل عنهم (٧٩-٨٩) جاء ما يلي :

ا) سرّهم ونجواهم :

- أم يحسَبون أنا لا نسمع سرّهم و نجواهم؟ بلي(نسمع ¯(هما) ¯)، ورسلنا لديهم يكتبون (هما ¯) (٨٠).

ب) ولد :

- قل : إن كان للرحمن ولدٌ ؛ فأنا أوّل العابدين(لـ(ه)[(١)]) (٨١).

---

(١) هذا التقدير علي أن معني العابد هو المعني الظاهر المشهور ، ويكون الكلام من باب التنزل معهم في الجدل والمناقشة. ولقد التفت البقاعي إلى قيمة استعمال (الرحمن) هنا. فاتصاف من يخصه الرسول بالعبادة يعني رأفته - سبحانه - بعابده ؛ فلا يحجب عنه أمرًا كهذا الذي يدّعيه المشركون ، إن كان حقًّا كما يزعمون. انظر : نظم الدرر ١٧/ ٤٨٧-٤٨٩. و ذكر ابن الأنباري ما يؤيد هذا ؛ فقال : إن الشرط هنا يشبه ما يقول بعضهم لغيره : إن كنت كاتبا فأنا حاسب ، إذا كان كلاهما لا تصدق عليه الصفة الموصوف بها. البيان في غريب إعراب القرآن ٦٦٤. و انظر: البحر المحيط ٨ /٢٨.

ج) (ما) في الآية ٨٢:

– ...عمّا يَصَفون(ه¯)(٨٢).

د) السموات والأرض :

– "و تبارك الذي له ملكُ السموات والأرض ، وما بينـ(ـهما)..." (٨٥).

هـ) (ما) في الآية السابقة :

- و تبارك الذي له ملك السموات والأرض، وما بينهما(هو¯)(٨٥).

و) الذين يدعون من دونه (٨٦) :

– و لا يملك الذين يدعون(هم¯) من دونه الشفاعة إلا <مَنْ> شَهِد(هو¯) بالحَقّ ، و(هم) يعلمـ(و)ن (٨٦).

– و لَئن سألتَ (هم) : مَن خلق (هم) ؟ لَيَقولـ(و¯)نّ...(٨٧)[1].

ز) الحَقّ :

– ...و هم يعلمون(ه¯ ، أو يعلمون {ذلك}¯) (٨٦).

وقفت من خلال تتبعي لوسائل الإحالة في هذا القسم من المحالات إليها ، وسابقه علي ما يلي :

– تزيد ضمائر الجرّ كثيرًا في المحالات إليها الفرعية عن تلك المنفصلة ، أو المتصلة المرفوعة والمنصوبة[2]. وهذا صادق أيضا علي المقارنة بين ضمائر الجر والنصب في المحالات إليها الأصلية. وهذا وذاك يمثل أمرًا طبيعيًّا ؛ إذ تمثل الضمائر المجرورة التكرار لمثيلتها المرفوعة والمنصوبة. وهكذا يُتوسَّع في التعبير باستعمال هذه الضمائر المجرورة بعد أن استعملت الطائفتان الأوليان للغرض نفسه بدلا من المحالات إليها.

(١) قال أبو السعود إن السؤال هنا للعابدين والمعبودين. تفسيره ٩٨/٥ . وسبق إيراد الآية في الإحالة إلى الكافرين.

(٢) يس ثمة ضمائر منفصلة منصوبة ، كما هو واضح.

– و يصدق الحكم السابق علي نتيجة المقارنة بين ضمائرالجرّ، والنصب في المحالات إليها الأصلية ؛ إذ تكاد الأولي أن تبلغ ضعف الثانية.

– لكننا نجد تقاربا واضحا بين عدد ضمائر الرفع المنفصلة والمتصلة ، وتلك التي للجرّ ، في المحالات إليها الأصلية.[١] وما ذلك إلا لكون تلك المحالات إليها هي محور حديث السورة الكريمة، ومخاطباتها. ومن هنا كأن هذا التقارب ، أو التوازن بين هذه الفصائل الثلاث للضمائر. ولابد أن لا نغفل كون المحالات إليها الأصلية يغلب أن لا تكون مذكورة معجميا.

– يتناسب استعمال الضمير وسيلةً للإحالة مع رتبة المحالات إليها. ففي المحالات إليها الأصلية يزيد عدد ضمائر الرفع عمّا هي عليه في المحالات إليها الفرعية ؛ حتي إنها لتقرب من الضعف أو تزيد. علي أنها تتراجع تراجعًا واضحًا في حالي ضمير النصب المتصل ، وضمير الجر الظاهر.

(ب) الربط

أولاً : أدوات العطف و ما يشبهها

أوّلاً – الواو :

١ –الواوالعاطفة للمفردات و ما في حكمها :

عطفت الواو مفردة علي غيرها تسع عشرة مرّة ، كانت تجمع فيها بين المتناسبات. واتحذ هذا التناسب الصور التالية :

ا) التشابه في وجه الفائدة ، أو الأثر علي المخاطَب ، ونجد ذلك فيما يلي :

- الفُلْك والأنعام.
- سُقُفًا من فضّة ومعارج.
- أبوابًا وسُرُرًا.
- بصِحَافٍ من ذَهبٍ وأكواب.

(١) بلغت ضمائر الرفع المنفصلة ٤٩ ، و المتصلة ٥٠. أمّا ضمائر الجرّ فبلغ الظاهر منها ٥٤ ، و المقدّر٢.

ب)وقد يكون بين المتعاطفين علاقة، أوتناسب في الحال،كما في:

- هؤلاء وآباءهم.
- ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم.

وهنا سنجد المعطوف عليه وحدة صرفيّة ، تكتسب الجزء المهمّ من معناها ممّا تشير إليه ، أو تعود عليه. كما أنها أكدت في المثال الثاني لضعفها عن أن تكون كالوحدة المعجمية المستقلة المعني ، و الصالحة ببنيتها لأن يُعطَف عليها.

ج) وقد يعطف الخاص علي العام ، كما في :

- حم والكتاب المبين(١).
- لأبيه وقومه.
- العُمْي ومَن كان في ضلال مبين.
- لك ولقومك.
- إلى فرعون وملئه.

وجاء المعطوف عليه في المثال الثالث مبهما ؛ فوضحته الجملة بعده ؛ فكان ذلك تعبيرًا بالحقيقة عن المعني الذي يمثل المعطوف جزءًا من إحدى الجملتين المجازيتين اللّتين تناولتاه. علي أن المعطوف عليه العامّ جاء موضّحًا لما سبقه ، و مؤكّدًا له، و شاملاً.

واستعملت اللام مع المعطوف في المثال الرابع ؛ فكانت مقوّية للعطف(٢) ، ومؤكّدة للمعنى.

د) وجاء عطف العام علي الخاص في : سرّهم ونجواهم.

---

(١) وفي كلام أبي السعود العمادي ما يشير إلى إمكانية العطف . انظر توقفه عند (يس) في تفسيره ٤٩١/٤. وهو يأخذ بأن(حم) اسم للقرآن . وحمل الكلام عليها علي ما سبق عن "يس" . وذكر هناك أنها اسم للسورة . وانظر الرازي ١٩٣/٢٧.

(٢) والمعروف أن العطف علي الضمير المجرور قليل ، وإن جاءت عليه قراءة حمزة في أول النساء : "...تساءلون به و الأرحامِ".

و المثال يندرج تحت الترادف ، أو شبهه أيضًا.

هـ) وممّا يشبه الترادف ، أو التكرار :

- سَلَفًا ومَثَلاً (٥٦).
- بينى وبينك (٣٨).

و) وثمّة مصاحبات ، بعضها مطّرد في القرآن ، و بعضها ليس كذلك.

فمن المطّرد جاء "السموات والأرض" في الآيتين(٩ ،٨٢) ، وفي الآية (٨٥) عطف عليهما "وما بينهما".

و من غير المطّرد :

- الحقّ ورسول مبين (٢٩).
- عِلْم الساعة...و قِيلِه (٨٦ ،٨٨)[١].

علي أن المصاحبة في المثال الأول ، قد جاء ما يشير إليها كما في الآية: "يأيها الناس قد جاءكم الرسول بالحقّ من ربّكم"(١٧٠/ النساء). ويمكننا القول إن السياق القرآني يكاد يجعل الرسول – صلي الله عليه وسلم – و ما جاء به مستويين.[٢] ومن سمات النصوص الإشارة إلى نصوص أخري.[٣] ويمكننا اعتبار تعدد السور التي تضمّنت التسوية بين منزلة الرسول وما جاء به ، أو بين ما وُصِف به كلاهما – تعدّدًا للنصوص. وذلك لكونها وحدات كبري مستقلّة بنفسها نوعًا من الاستقلال ، وإن تضامّ كلٌّ منها إلى غيره ؛ ليتكوّن من المجموع نصّ القرآن المسلمة كل سورة منه إلى غيرها ، و المتآلفة مع ما سبقها وما لحقها.

(١) الحجة للفارسي ٦/ ١٥٩ ، ١٦٠.

(٢) راجع الآيات ١٧٤/ النساء ،١٥/ المائدة ،٤٦/ الأحزاب ، ١٠ ،١١/الطلاق.

(٣) النص والخطاب والإجراء٩٣.

ويأتي العطف في المثال الثاني للتماثل في سمة الخفاء التي يشترك فيها المتعاطفان. وليس هذا الخفاء ذاتيا في الوحدة المعجمية في المعطوف ، لكنه انتقل إليه ممّا أشارت إليه اللاصقة الضميرية، التي كوّنت معها مجمل الكلمة.

وقد جاءت الواو في أكثر من ضعف المواضع السابقة ، ناسقة للجمل والعبارات علي سابقاتها ؛ للمناسبة القوية بينها. ولقد عدت في غير قليل ممّا جاء في أوّل الآيات استئنافيًّا ، يُبتَدأ به كلام جديد ، وإن رأي البقاعي – فيما يبدو – أن الواو عاطفة في هذا الموضع دائمًا.(١) وهو يقدّر الجملة ، أو الجمل التي يري أن النصّ الكريم قد أمسك عنها ؛ وذلك للوصول إلى تحقق العطف باستعمال الواو أو غيرها.(٢) وهو ما رأيت أن لا حاجة إليه خاصة مع طول المقدّر ، أو

(١) انظر توجيهه الآية :"ولولا أن يكون الناس أمة واحدة..." علي أنها معطوفة علي ما ذكر من قبل عن تمتيع الكافرين في الدنيا ، وما أفضي إليه ذلك من خروجهم عن السواء "وكان التقدير : فنحن نخص بهذا الخير (يعني النبوة)...الآحاد من الأبرار ؛ لنستنقذ بهم من شئنا من الضلال ، ونعطي الحطام للطغاة الأرذال ؛ابتلاءً للعباد...ولولا ما اقتضته حكمتنا بترتيب هذا الوجود علي الأسباب من المفاوته بين الناس لقيام الوجود – لساوينا بينهم . وعطف عليه قوله – مذكّرًا بلطفه بالمؤمنين ... برفعه ما يقتضي لهم شديد المجاهدة ...– : " ولولا أن يكون الناس ...". نظم الدرر١٧/٤٢٤. و قارن بما اختاره أبو السعود العمادي ؛ إذ ذكر أن الواو هنا أداة "استئناف مبين لحقارة متاع الدنيا".إرشاد العقل السليم ٥/٨٤.

(٢) ثمّة مواضع عشرة عددت الواو فيها بين العاطفة والاستئنافية في الآيات :٣٩ ،٤٥ ،٤٨.(بهذه الآية موضعان). وسنجد إجازة الوقف قبل الواو في الجزء الثاني من هذه الآية : "وأخذناهم بالعذاب..." وهو ما لعله يرجح ما ذهبت إليه.و يختار البقاعي أن الواو هنا عاطفة ما بعدها علي كلام مقدر معطوف علي الجزء الأول من الآية.نظم الدرر١٧/٤٤٣.و لئن دلتنا مثل تلك التقديرات علي براعة الإيجاز ، ولئن كنا نعول كثيرا علي التركيب العميق للجملة لفهم التركيب الظاهر لها – إن الأولي – فيما أري – أن نأخذ بالظاهر في هذا الموضع و أمثاله.وتتمّة المواضع المشار إليها سابقًا : الآيات ٤٩ ،٦١، ٧٢ ،٧٦,٨٥، ٨١. وانظر عن آيتي ٤٩ ، ٦١ : نظم الدرر٤٤٤ ، ٤٦٠. ولا بد من التنبيه إلى وجاهة ما يذكر من تقدير مبني علي معني الآية السابقة للآية الأخيرة ، وهو ما يتيح عطف الآية علي ما قبلها ؛ فلا تكون هذه الآية – "ولوشئنا لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون" – فاصلا – في الظاهر ، علي الأقل – بين الآيات السابقة في شأن عيسي و الآية ٦١. أن توجيهات =

كثرته. وهو ما يؤيدني فيه الدرْس الحديث. فقد قرَر "بوجراند" أنه "لا ينبغي للصياغات التجريدية ، التي تتفرع عنها تراكيب متعمدة أن تُعدّ ممثّلة للغة الإنسانية ، حتي حين تكون عظيمة الجدوي في الإيضاح. ذاك بأنها في أحسن أحوالها صنعة من أجل المساعدة ، والوساطة ، يتمّ استبعادها عندما نقترب من نموذج مقبول من نماذج النشاط الإنساني".[١] ولقد جاء كلام الله – تعالى – علي أقيسة كلام العرب ، وأن فاقه في دقة الصياغة وروعة البيان. وكما تضمن هذا الكلام الجمل المبدوءة بالواو الاستئنافية ، جاءت آيات هنا مبدوءة بتلك الواو ، التي لا تستلزم ذِكْر تسلسل الوقائع المفضية إلى الوصول إلى موضعها ، علي ما كان يفعل البقاعي.

٢-الواو الرابطة بين الجمل وما فوقها:

١- "إنا جعلناه قرآنا عربيًّا...(و) أنه في أمّ الكتاب لدينا..."(٤,٣).

٢- "الذي جعل لكم الأرضَ مَهْدًا (و) جعل لكم فيها سُبُلاً..."(١٠).

٣- " ...سُبُلاً ؛ لعلّكم تهتدونَ (و) الذي نَزّل من السماء ماءً..." (١١,١٠).

٤- "...كذلك تُخرَجون (و) الذي خَلَق الأزواجَ كلّها (و) جعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون" (١٢,١١).

٥- "...إذا استويتم عليه (و) تقولوا : سبحان الذي...(و) ما كنّا له مُقْرِنينَ" (١٣).

٦- "...مُقْرِنينَ(و) إنا إلى ربّنا لَمُنقَلِبون" (١٤,١٣).

٧-"أَ(و)[٢]مَنْ يُنَشّأ في الحِلْية (و) هو في الخِصَام غيرُ مُبِينٍ" (١٨).

= البقاعي و تقديراته مفيد و وجيهة ، لكنها لا تمنع من الأخذ بظاهر التركيب في تصنيف الواو هنا. و قد اعتبرتها عاطفة في أربعة عشر موضعا أخري. و هي في الآيات التالية : ٣٠ ،٣٢ ، ٣٣، ٣٥ ،٣٦، ٣٧، ٤٦، ٥٧، ٦٠ ، ٦٣، ٧٧، ٨٤، ٨٧.

(١) النص و الخطاب و الإجراء ٩٥.

(٢) وما سيأتي عن حذف جملة قبل الواو ، والتقدير : أتجعلون لله ولدا ، ومن ينَشّأ في الحِلْية؟ و كذلك حذف خبر (مَن). و التقدير : تجعلونه لله.

٨-"...ستُكتَب شهادتُهم (و) يُسأَلون" (١٩).
٩-"وجعلوا الملائكة...(و) قالوا:لو شاء الرحمن ما عبدناهم" (٢٠,١٩)[١].
١٠- "بل قالوا : إنا وجدنا آباءنا علي أمّة (و) إنا علي آثارهم مهتدون" (٢٢).
١١- "(و) كذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا علي أمّة (و) إنا علي آثارهم مقتدون" (٢٣).
١٢- "وإذ قال إبراهيم ...إلا الذي فَطَرني ؛ فإنه سيهدينِ (و) وجعلها كلمةً... (٢٨,٢٧).
١٣- "...قالوا : هذا سِحْرٌ (و) إنا به كافرون (و) قالوا : لولا..." (٣١,٣٠).
١٤- "...نحن قسَمنا بينهم معيشتهم...(و) رفعنا بعضهم..." (٣٢).
١٥- "...لَجَعلنا...لبيوتهم سُقُفًا... (و) لبيوتهم أبوابًا..." (٣٤,٣٣).
١٦-"... يتّكِئونَ (و) زُخْرُفًا[٢]" (٣٥,٣٤).
١٧-"وإنهم لَيَصُدّونهم عن السبيل (و) يحسَبونَ..." (٣٧).
١٨ -"إنك علي صراط مستقيم (و) إنه لَذِكْرٌ لك و لقومك (و) سوف تُسأَلون" (٤٣,٤٢)[٣].
١٩-"...إذا هم يَنْكُثُون (و) نادي فرعون..." (٥١,٥٠).
٢٠-"أم أنا خيرٌ من هذا الذي هو مَهِينٌ (و) لا يكاد يُبِينُ" (٥٢).
٢١-"...يَصُدّونَ (و) قالوا : أآلهتنا..." (٥٨,٥٧).
٢٢-"...أنعمْنا عليه (و) جعَلناه..." (٥٩).
٢٣-"...فلا تمتَرُنّ بها (و) اتّبِعونِ..." (٦١).

(١) ويشهد لارتباط الآيتين ببعضهما تعقيب الزجاج علي الجزء الثاني من الآية الثانية :"ما لهم بذلك من علم". قال :"ما لهم بقولهم :إن الملائكة بنات الله من علم ، ولا بجميع ما تخرّصوا به". معاني القرآن و إعرابه للزجاج ٣١٠/٤. و ربما عُدّت الواو هنا استئنافية.
(٢) أي : ولجعلنا لهم زخرفًا.
(٣) ونظم الدرر ٤٣٥/١٧ – ٤٣٧.

٢٤-"...واتّبِعون ؛ هذا صراطٌ مستقيمٌ (و) لا يَصُدّنّكم الشيطان" (٦٢,٦١).

٢٥-"...قال : قد جئتكم بالحكمة (و) لأُبيّن لكم بعض الذي تختلفون فيه ؛ فاتّقوا الله (و) أَطِيعونِ" (٦٣).

٢٦-"... أن تأتيهم بغتةً (و) هم لا يشعرون" (٦٦).

٢٧-"يا عبادِ ، لا خوفٌ عليكم اليوم (و) لا أنتم تحزنون" (٦٨).

٢٨-"الذين آمنوا بآياتنا (و) كانوا مسلمين" (٦٩).

٢٩-"يُطَاف عليهم بصِحافٍ...(و) فيها ما تشتهيه الأنفُسُ (و) تلَذّ الأعيُنُ (و) أنتم فيها خالدون" (٧١).

٣٠-"لا يُفَتّر عنهم (و) هم فيه مُبْلِسون" (٧٥).

٣١-" و ما ظلمناهم (و) لكن كانوا هم الظالمين" (٧٦).

٣٢-"لقد جئناكم بالحقّ (و) لكنّ أكثركم للحقّ كارهون" (٧٨).

٣٣-"...بلي[1] (و) رسلُنا لديهم..." (٨٠).

٣٤-"فذَرْهم يخوضوا (و) يَلعبوا..." (٨٣).

٣٥-"وهو الذي في السماء إله (و) في الأرض إلهٌ (و) هو الحكيم العليم" (٨٤).

٣٦-"... وما بينهما (و) عنده علم الساعة (و) إليه تُرجعون" (٨٥).

٣٧-"...شَهِد بالحَقّ (و) هم يعلمون" (٨٦).

٣٨-"(و) قيلِه : يا رَبِّ..." (٨٨).

٣٩-"فاصفَحْ عنهم (و) قُلْ : سلامٌ..." (٨٩).

و عطف الجمل هنا ، أو العبارات ، إنما كان للتناسب المعنوي بينها. فالواحدة منها موافقة لأختها ، تأتي لتمثل بناء ممهّدًا للتالي، أو قائمًا علي السابق ، في إضافات متطلّبة للسامع ؛ لما فيها من المعاني الجديدة ، التي يكون بعضها تعليلا ، أو نتيجة لما سبقه.

(١) والتقدير : بلي نسمع.